

على احمد زباكير

همام

في بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية



هَمَّام
في بلاد الأحقاف

هَمَامٌ فِي بِلَادِ الْأَحْقَافِ

مَسْرُوحِيَّةٌ شَعْرِيَّةٌ

نَظْمٌ

عَلَى أَحْمَدَ الْبَكْشِيرِ

الْقَائِمُ
مَكْتَبَةُ مَصْرٍ
٣ شارع كامل صديقي - الجيزة

مُقدِّمة المؤلف

هذه المسرحية الشعرية التي استوحيت موضوعها من الحياة الاجتماعية بحضرموت ، وكتبها وأنا بمدينة الطائف ثم نشرتها بالقاهرة سنة ١٩٣٤ ، كانت أول تجربة لي في الكتابة للمسرح ، وكان لها صداها في الأوساط الحضرية منذ ثلاثين عامًا !

وقد تقدم إليّ الأخ الأديب الفاضل الأستاذ علي محمد الصبان مقترحاً إعادة طبعها ، ليتاح للأجيال الحضرية الجديدة الاطلاع عليها ، باعتبارها وثيقة أدبية لمرحلة من مراحل التطور في حياة المجتمع الحضرمي ، فرافقته على ذلك ، شاكرًا له جميل اقتراحه ، راجيًا له التوفيق فيما يتوخاه من خدمة أمتنا العربية .

المؤلف

علي أحمد باكثير

٦ ربيع الثاني ١٣٨٥

القاهرة

٣ أغسطس ١٩٦٥

تصدير

بقلم الشاعر الكبير الأستاذ النقادة

حسن كامل الصيرفي

ناظم هذه الدرامة الشعرية أديب حضرمي يحمل بين جنبيه قلباً خفياً
ينزع إلى الحرية .. ويصبو إلى رحابها الواسعة المترامية الأكفاف ، ولهذه
الرغبة نراه يطوي الأنجاد والوهاد ويركب متون البحار حتى يبلغ أرض
الكنانة ، رسولا من مستقبل حضرموت إلى حاضر مصر ، لينقل إلى وطنه
قبساً من نور بهي .

هو شعلة من الحياة التي تعرف حقها من الوجود الذي يأبى الركود ،
ولهذا تجددت فيه الروح الناهضة ، التي أوحى إليه بهذه الدرامة .

هو شاب مخلص لوطنه كل الإخلاص ، فإذا كان ثائراً على حالة وطنه
الراهنة ، فإنما هذه الثورة عين الإخلاص .. وما ثورته إلا الرغبة في
الإصلاح.

تلمح في درامته صورا سريعة العرض تمثل ذلك القطر الشقيق رازحاً
تحت أعباء ثقيلة من بدع متوارثة ، خلفتها عصور مظلمة ، وسياسة غريبة

عجبية ، تتحكم في مصير شعب ضعيف خدرته بالعقائد والأوهام ، فسيرته في سبلها طائعا طاعة عمياء ، وليس أقدر من العقائد على أسر النفوس التي تضعها الفطرة في دائرة محدودة ، وتسهل تفكيرها ، وتقصر مدى نظرتها . فهناك فئة من الناس تنزع الحياة الاجتماعية وتسيطر على الناس بتهويشها وخداعها ، وقد عرضت الدراما صورا لها ساخرة منها هذه الأبيات :

وليُّ الله ذو الحبــــــــــــــــو ة والأردية الخضر
وذو المسواك في العمرة قد أربى على الشبر
ورب السبحة الغارق في التسبيح والذكر
بها يذكر في الناس ولا يذكر في السر

يرجع ناظم هذه الدراما جهل شعبه إلى جهل المرأة ، فهو يريد لها متعلمة كشقيقاتها الشرقيات اللاتي عرفن مكائتهن من شعوبهن ، فنهضن يطلبن حقوقهن ، فكان لتلك النهضة أثرها في شعوبهن .

وبطل درامته (الشاعر المصلح) الذي جعله المؤلف شائبا مجددا يسخط على المسيطرين بخداعهم وأضاليلهم على عقول الشعب ، ويحاول جهد استطاعته بث أفكار جديدة في بيئته فلا يلاقي إلا عنتا ، ولا يوصف إلا بالكفر والإلحاد .

هذا البطل يجتهد أن يوصل أفكاره إلى الشعب عن طريق المرأة ، لأن المرأة كما يقول المؤلف على لسان سيدة من أشخاص درامته :
صاحبات الزمان نحنُ حياة الناس فيه والموت في أيدينا !

وهذا البطل موزع القلب والفكر بين حبين قاسيين .. حب لوطنه
ورغبة في تحريره من الأوهام وترقيته إلى مصاف البلاد الراقية ، وحب لفتاة
تملك عليه شعاب قلبه .

وبين هذه الحياة المضطربة من صدمات عنيفة ، ومن جحود وإنكار ،
ومن قلق وكفاح ، ومن رغبة وخفوق ، يرينا المؤلف صوراً من الحياة
الاجتماعية في عاصمة الأحقاف ، كل ذلك في أسلوب طلي بسيط .

على أن المؤلف — بالرغم من هذه الثورة المضطربة في نفسه — لم يزل
يرفق ببيئته ، فهو يلطف من حدة أفكاره بالألفاظ قريبة إلى روح الشعب ،
فيها من إطفاء الغضبة ما يمنع سحق الساخطين وحنقهم . وله الحق في
ذلك فهو يلجأ إلى مثل تلك الألفاظ لكي يستطيع بث آرائه وأفكاره .

وأرى أنه لو ختم درامته بغير ما ختمت به لكان ذلك أشد وقعاً وأجلّ
أثراً ؛ فلقد كان يجدر به أن يختتمها بالحياة لا بالموت . وبعد فأتمنى له حين
يعود إلى وطنه فيقوم بهذا الدور ، ويث فيه الأفكار النافعة والآراء الصائبة
ما تمتلئ به روحه ويزخر به إيمانه ، وأن يجعل الله خاتمة دوره الظفر والنصر
وتحقيق الأماني .

القاهرة ٢٩ صفر ١٣٥٣ — ١٢ يونية ١٩٣٤

حسن كامل الصيرفي

- ٩ -

الإهداء

إلى مصدر الوحي الأول !
إلى ملاكي الجميل الذي سبقني إلى عالم الخلود ، وكلما ذكرته أوحى
إليّ !
وإلى الشعب الحضرمي الذي أحبه وأعيش من أجله ، أهدي :

هذه الأقصوصة

كذكرى خالدة للأول ،
وذكرى نافعة للثاني .

علي أحمد باكثير

تمهيد

مكان الرواية	: مدينة (سيون) عاصمة حضرموت الداخل
زمن الرواية	: العصر الحاضر
أشخاص الرواية	:
همام	- بطل الرواية
حُسن	- حبيبة همام
محمد	- صديق همام ونصيره في المبدأ
علوية	- نصيرة وحبيبة محمد
زهراء	- أخت همام
خديجة	- أم حُسن
شهاب	- عم حُسن ووكيل أبيها
ولي الله	- خرافي دجال يتجر بدينه
سالم	- صديق محمد
الأمير أمجد	- أمير البلاد
بكر	- غني يطلب يد حُسن

	أحمد
	عقيل
جماعة من الأدباء	ابن عيسى
	عبد الله المغني
بدوي رافق هماما في طريقه إلى الساحل	عامر
	ناهية
أخوات عامر البدوي	سعدى
	لهنى
رجال وشيوخ ونساء ووصائف ومغنيات	نكرات مسرحية

الفصل الأول

« غرفة متوسطة السعة على جوابها خزان مملوءة بالكتب، مفروش جانب منها بسجاد رومي ثمين ، وعلى الجانب الثاني منضدة صغيرة عليها أدوات الكتابة يحيط بها خمسة كراسي بسيطة . ويظهر همام في الجانب المفروش من الغرفة متمدداً واهي الأركان ، يئن أليناً خفياً يشبه الغمغمة . تدخل عليه زهراء فتعرف ما به وتتجاهل فتسأل : »

المشهد الأول

زهراء : أخي ما بك اليوم ؟ إني أرا ك قليل النشاط كثير الضجر
أأنت مريضٌ وقيت الشُّرو ر ، وبلغك الله طول العُمر

همام : أى إن بي مرضاً في القوا د يا زهرٌ يُنلِرنِي بالخطر
ولا تجهلين ماذا يصينو لك مما بدا منه أو ما استتر
فماذا وراءك ؟ هل من جديد سد يحفف من وجدي المستعر ؟

زهراء : أخي لا تخف في الهوى أن تغيث
ولا تجعلن ليأس إليك سبيلا ففي اليأس فوت الوطر
أيأسٌ منلك وهو الرّيح في الكفّ الشّاتلات الأخر ؟
فأحرى بغيرك أن يستريح إلى اليأس . لا بد أن تتصير
كأنّي بخسن نَزَفُ إليك عروساً تلم ذبول الخفر
تحيط بها الغانيات الحسا ن كالبدن بين النجوم الزهر

كَأَنِّي بِأَيَاتِنَا قَدْ غَدْتُ تُصَفِّقُ بِالْفَرَحِ الْمَزْدَهَرِ
وَأَنْتِ عَرُوسٌ تُحْيِي الْوَفُو دَ وَتُخَطِّرُ بَيْنَ صَفُوفِ الزُّمَرِ

هُمام : أَزْهَرَاءُ لَا عَدِمَتْكَ الدِّيارُ رُ ، حَدِيثُكَ يَقْشَعُ عَنِي الْكَدَرُ
لَأَنْتِ الْعِزَاءُ إِذَا مَا أَتَيْتِ وَأَنْتِ الْهَمَاءُ وَأَنْتِ الْحَبِيرُ^(١)
فَأَيْنَ الْكِتَابُ ؟ أَمَا تَقْرئينَ ؟

زَهراء : بلى ! ذَا الْكِتَابِ مَعِيَ قَدْ حَضَرَ
كِتَابُ كَرِيمٍ خَلِيقَ بِهِ بَأَنَّ يَكْتُبُوهُ بِنُورِ الْبَصَرِ
« بِلُغِ الْمَرَامِ » وَ« سُئِلَ السَّلا م » عَلَيْهِ تَحَجَّلَ مِنْهُ الْغُرَرُ
أَحَادِيثُ طَهْ وَأَيُّ الْكِتَابِ ب تَلَأَلُو فِيهَا خِلَالُ السَّطَرِ
وَأَقْوَالُ مُجْتَهِدِي الصَّحْبِ وَالْأَكْمَرِ لَمِنْ كُلِّ حَبِيرٍ أَهْرُ
فِيأَخُذُ مِنْهَا الْفَتَى مَا صَفَا وَيَتْرَكُ مِنْهَا الْفَتَى مَا كَدَّرُ
وَمَنْ لَأَذَى مِنْ بَعْدِهَا بِالْهَوَى فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمُسْتَقَرُّ

« يَتَبَسَّمُ هَمَامٌ إِعْجَابًا بِهَذِهِ الرُّوحِ الْإِصْلَاحِيَةِ الَّتِي وَفَّقَ
لِبَدْرِهَا فِي نَفْسِ أَخْتِهِ . وَتَعْرِفُ هِيَ أَنَّ فِي مِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ
تَسْلِيَةً لَهُ وَتَهْدِئَةً لِأَفْكَارِهِ الْمُضْطَرَّةِ فَتَطْرُدُ فِي حَدِيثِهَا » :

فَلَا سَلِمَتْ كُتُبُ الْجَامِدِينَ وَلَا فَازَ قَارِئُهَا بِالْوَطَرِ
صَحَائِفُ لَا رُوحَ فِيهَا وَلَا يَجُولُ بِهَا ذَكَرُ خَيْرِ الْبَشَرِ
يُصَوِّرُ فِيهَا مُحَالًا الْأَمُورِ ، وَيَتْرَكُ فِيهَا مُهِمُّ الصُّوَرِ !
فَتَلُكُ الْجَوَاهِرَ أَيْنَ الرَّمَا لُ مِنْهَا وَأَيْنَ خَسِيسَ الْحَجَرِ ؟

« يستولى على همام الالبساط ويأمر أخته بالقراءة فتقرأ فصلاً من

الكتاب يقول لها بعد الانتهاء »

صار فرضاً عليك أن تنشرى هـ
فهدى الشعب من هدى أمهم
وبنات الأحقاف أولى بأن يخلق
وبأن يطهرن من لؤ
فيريّن الحياة من غير معنى
زهراء : إنطرب يا همام نفساً فما تر
ولقد سرّنى استماعُ صديق
همام : بارك الله فى الصغار ففیهن
إنما التّر فى العجائز یحمّد
زهراء : نحن بالأمس ثلّة ضمنا مجلس
ولدينا شریفة جمعتُ حسناً
سمعتنى - ولستُ أعرفها - أَل
سُقتُ من أخبار الشهيرات فى
شاقهن الحديث عن ميدات
ثم حرضنهن أن يتشبهن
قلتُ لیس الرجالُ أولى بكس
ومن العلم ما بُعرفنا الدين
وأهم الأمور تریة الأو
صاحبات الزمان نحن ! حیاة الد
إن نشأ فالورى بنا سعداء
لذا الهدى فى جماعة النسوان
بات الشعب فى كل موطن وزمان
من شتى العلوم والعرفان
ث الأوهام مما یخل بالایمان
غير تلك الحیاة وهى معانى !
جو سأسعى فیہ بغیرتوان
تى لقولى وقدرهن مکانى
قبول للحق إنا دُعینا
ن جمود الحصى فلا یبتدینا !
عُرس فى بیت جار آینا
ولطفاً جمّاً وعقلاً رصینا
قى على الحاضرات درساً مبینا
الإسلام ما ردهن لی یصغینا
ففن بعض الرجال علما ودینا
بتلك الشموس أو یقتدینا
ب العلم منا فإننا مُستورنا
ومنه ما سدّ فإننا مُستورنا
لاد كى ینشأوا من العالمینا
نفس فیہ والموت فى آیدینا !
وشقاء حیاتهم إن شینا

فعلينا لربنا واجبات ليس نيرا من إلهها ما بقينا
كيف نستطيع بالجهالة يوما أن نؤدي أمانة الله فينا ؟
صحن في أسمع الرجال : أليس العلم فرضاً على النساء مينا ؟
فيم غادرتم البنات على جهل وقمتن تعلمون البنينا ؟
هل أقمتن مدارساً للواتي إذ أقمتن مدارساً للبنينا ؟

* * *

فتدنت تلك الشريفة مني وحبتي من النساء فنونا
ثم قالت : عن تلقيت هذا ؟ قلت عن صنوي الذي تعرفينا
عن همام . قالت همام أضحي بحسن بين الوري مفتونا ؟
والذي يذكرون عنه ابتداءً بئس هذا الوري وما يفتونا !
إنني قد أنست من قولك السا لفر روحاً فيأضة ويقبنا
فتساءلت من يكون الذي لقد من هذي الهدى تلقينا ؟
فذكرت امرأ جعلت فدا ه دون ما عابته به الجاهلونا !
ليتني أستطيع أن ألقى عنه ه شيئاً ! أني لذا أن يكونا
قلت : نفسي فذاك يا ابنة طه أنتم آل بيته الأكرمونا
ليس بدعاً أن تنصروا سنه لة الهادي بنصرها قمونا
إنما البدع أن يكون بنو المخ ستار عن هدبه من الناكبنا !
غير أن ما رأيته مثلك في نسه وة «سيوون» تعشق المصلحيننا
إن سرراً في الأمر يحسن لو أد ريه ، قالت يسرني أن يينا
نحن من بيت سادة يكره الدج مل ويأبى من الأمور الدونا

- ١٦ -

جدُّنا الأكبر الشريف « عقیل »

سنَّ نهج الهدى لنا ما حيننا

عندنا من آثاره « سيفه المسلولو

ل « يَفْري أو هامهم والظنونا

* * *

بلعى عني السلام هماما ورجائي إياه في الناجحينا

وغداً نلتقي ونرسك الرحم من قلت الرحمن يقيقك فينا

همام : بارك الله فيك ! هذى فتاة من سليل الأفاضل الأطهرينا

جدُّها كان في الحجاز مناراً للمعالي يؤمُّه الطالبونا

ذبَّ عن سنَّة النبي ولاقى من بني قومه أذى وفونا

رَبَّ آمَنْتُ بالوزرائَةِ ! أَنْتَ الله أرسلتها لنا قانوننا

هذه روح جدُّها ، ربُّ وفَّقها وآزر بسعيها الناهضينا

« يلتفت إلى زهراء مساللا » :

ألديها روج ؟

زهراء : قضى زوجها النحر ب صغيراً لم يبلغ العشرين !

وقضى قبل روحها أبواها فهي ثكلي تعيش عيشاً حزينا

خبرتني عنها سعيدة إذ كانت قد استخلفتُ لديهم سنيها

همام : مَنْ يليها إذن ؟

زهراء : شقيق أبيه عاها رغم كونه مسكيننا

همام : ذكرنا لكى نواسيه القَيِّ سنة بعد الأخرى .

زهراء : أصبت قمينا

- ١٧ -

همام : لم تجد بعد زوجها خاطبًا ؟
 زهراء : لا .
 همام : أو ليست حُسنا كما تذكرينا ؟
 زهراء : بل هي الحسن كله — عَلِمَ اللهُ — متاع الرائين والسامعينا !
 همام : غير أن الشَّبَابَ في هذه الأنحساء بالحسن ليس يَحْتَفلوننا
 إنما ينظرون للمال فالمال هو الزوجة التي يَحْتَفلوننا
 وَيَرَوْنَ الكمالَ في ذات أم لا يُرى زوجُ بنتها مغبونا
 تتوخى رضاهُ في كل حين فترىه من الطعام فنونا
 فكان لم يكن لديهم من الحب سوى ما يسدُّ منهم بطونا

المشهد الثاني

« في القاعة الكبرى للمدرسة حيث تقام الحفلة السنوية
 وقد حضر إليها الناس من كل الطبقات ليشاهدوا التلاميذ
 ويسمعوا خطبهم ومحاوراتهم .
 التلاميذ في وسط القاعة متميزين عن الناس والناس محيطون
 بهم . همام يقوم بعد فراغ التلاميذ ويعتلي منصة الخطابة » .

يا بني مدرستي إني لكم ناصحٌ يصفىكم النصيح أمين
 لنبات الشعب أنتم فليكن كلها من ذلك الصلب المتين
 إن برنامجَ تدريسيكم ليس برنامج قوم مرتقين

ترهقون النشءَ بالحفظ فَمِنْ حفظ تقريرٍ إلى حفظ متون
ليس في ذاكمُ لهم من صالحٍ إنه يقتل فهمَ الناشئين
فدعوا الحشو ورُبُّوا فيهم ملكات الحذق في كل الفنون
استقوا التوحيدَ من ينبوعه وانهلوا كتب الصفات الأربعين
لا تريد النفس إلا حيرةً لا كأسلوب الكتاب المستبين
لم تولف لكم هاتيك ، بل ألفوها لججاج الملحدين
واقصدوا في الفقه لا يأخذكم ليس في الفقه غذاء الناهضين !!

« أحد الشيوخ يقوم ويحاول تسكيت همام ويصيح : »

يا عبادَ الله ! هذا مارقٌ يندب الناس إلى دينٍ جديد
أسكوه أسكوه ! إنه يا عباد الله شيطان مريد
شيخ آخر : هذا وهابي !
ثالث : هـ هذا معتزلي !
رابع : سئلوا فاه
خامس : لا تدعوه يغوي الناس !
سادس : هذا ما كنا نخشاه !

« همام رافعاً صوته في شيء من الغضب » :

أنا لا أصغي لتسكيت امرئ أنا لا أخشى صياح الصائحين
خطبتي لا بدّ من إتمامها

شيخ متنور : أتمم الخطبة إنا سامعون

لا تُبل ؛ من رام أن يقطعها فليقم إن شاء في المنصرفين

همام : أنا لم أذعُ إلى غير الهدى وإلى غير نهوض المسلمين
أنقيمت دعوة الناس إلى
« ملتفتا إلى الشباب »

اسمعوني يا شباب الحبي ، لا يُقصكم عني مقالُ الجامدين !
.. ليس في الفقه غذاء الناهضين !
اقرأ وافقه حديث المصطفى تعيروا الشكَّ إلى برد اليقين
لا تهابوا اليوم أن تجتهدوا إن سرَّ العلم للمجتهدين !!
وكتاب الله باقٍ خالداً تنجلي آياته في كلِّ حين
ادرسوه درس أحياء ولا تدرسوه دَرَس قوم ميّتين
ادرسوه وفق نهج خطّه (مصلح الإسلام^(١)) ذو الفضل المبين
إنه يشعل في أنفسكم جذوة الدين وعِزَّ المؤمنين
إنه يبعث في أرواحكم قوة هائلة لا تستكين
ففتح الدنيا بها أسلافنا من ربى الغرب إلى السور المكين
وأضعناها فهُنّا بعدها وغلدونا مُضغّةً للأكلين
ليست الأخلاق ليناً في الخُطى وخضوعاً هو للنفس مهين
إنما الأخلاق أن لا تُبطينوا غير ما للناس أنتم تظهرون
إنما الأخلاق أن لا تتركوا نصرة الحقَّ للوم اللامنين
رفع الإسلام من أنفسكم فارفعوها عن دعاء المقبرين
لا تذُلُّوا لِسِوَى الله ، ولا تخضعوا إلا لربِّ العالمين

(١) هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

- ٢٠ -

« أحد الحاضرين لصاحبه » :

لله ما أفصحه !

الآخر : والحق - والله - معه !
الأول : لكن هؤلاء لا يغيثونا أن نسلمه
الثاني : أقواله مؤلمة هؤلاء موجعه
الأول : لأنها تقطع ما كان لهم من منفعة
همام : حكموا الأنصاف فيما بينكم لا يكن قوم لقوم حاقرين
فالمساواة على أعذلهما ميزة الإسلام عند الباحثين !
وأخو الحق إذا لم يُعطه أخذ الحق انتهأ باليمين

* * *

المشهد الثالث

« بهو كبير - في دار أحد أدباء البلد - مفروش بالبسط
الجميلة من المخمل الثمين ، منقوشة جدرانها برسوم فنية جميلة
للأزهار المختلفة تحملها الأغصان الخضراء . جماعة من الأدباء
في المجلس بينهم كثير من أتباعهم المتأدين يشربون ويتحدثون .
أمامهم عدة شاي مصقولة يخطف بريقها الأبصار يتولاهما
أحدهم . يدخل همام مسلماً » .

همام : عموا مساءً يا أصدقائي

الحاصرون : مسَّيت بالخير والهناء

أهلاً وسهلاً

أحمد : (أحد الأدباء) هذا ابن عيسى
 همام : في الدين أو في البيان ؟
 أحمد : بل في كل الشؤون على السواء
 همام : لا يا ابن عيسى جزت المدى لا
 « ملتفتاً إلى أحمد »

وأنت ماذا تقول فيه ؟

أحمد : إنني أراه في الأتقياء
 همام : كلاً كما قد غلا ، فهذا
 بل هو في شعره إمام
 لكنّه كان في أرياب
 فقال ما قال غير خاشي
 وممكن أنّه حطلي في
 فربّ شلّ أفضى بمولا هـ - بعد ما حار - للجللاء
 « تدار كؤوس الشاي ويأخذ همام كأساً »

شرابُ الشاي خير لي من الدنيا وما فيها !
 إذا ما أقبلت كأس كخزْد في تهاديهما
 قولي لهم من نفسي ودانت لي أمانيهما !
 عرفتُم من هو القائل هذا الشّعْر في الشاي ؟
 يرى في الشاي دنياه فما صحّة ذا الرأي ؟
 (أحد الأدباء) : عليل

لا تعجنّ همام تلك حقيقة كالشمس فيها الشاربون سواء

ما قيمة الدنيا وما فيها إذا ما لم يكن شاي ولا ندماء ؟
 همام : إنَّ في الشاي عِزاءً لصريع الهَم والغَم
 لكَيْب أو حزين أو عميد أو متيم
 حاز لطفَ الخمر إلا أنه غير محرم ؟
 من صفاء اللون في العين وحسن الذوق في الفم
 هو مسلاة أديب فيه من بلواه معصم
 ورَسُولٌ للتأخي يجمع الناس وينظم
 غير أنَّ القصيدة في الأشياء منجاة ومغفم
 فغلونا فيه حتى صار فينا يتحكّم
 وغدا وهو على القوت الضروري مُقَدّم
 وشربناه بلا وزن وتقدير مُنظّم
 فلكنم يسئلبنا الماء لَو كنم يُسقيمنّا كَم
 ولكنم أنحى على بيت كريمة فنهـدّم
 ولكم عائلتي جرّ عها صابئاً وعلقم
 ولقد زاد بلاءً أنه في قُطرنا عَم
 فهو في القصر ، وفي البـت ، وفي الكوخ المرمم 11
 عـ قـ ١١ ملتحقاً إلى «عبد الله» المغربي :

يا بلبل الأفراح والسُرور اصدَحْ بمُوسيقاك في الحضور
 غن لنا شعر (أبي كثير) في الشاي وانثُر ميت القبور 1
 (يتهيأ المغربي ثم يرفع عقيرته يتغنى بصوته الجميل ولحنه الطروب) :
 يا صاحب القلب الشقي بقومه إرفق بهذا القلب لا يتحطم 1

أخدم بلادك ما استطعت وكل إلى

مولاك ما لم تستطعه وسلم
ومن الجفا أن لا تحيي مثلما حيّاك وجه العيد مبتسم الفم
ذرّ بعضَ همك واقض بعض حقوقه
لا بلدًا للمحزون من مُتَبَسِّمٍ !
واقذف شياطينَ الهموم بأكؤس

تنفضُ من (بُرّاد) شاي مُعلَم^(١)
مخضرةً جنباته فاعجب له من جنة حضراء فوق جهنم !
شاي يفوز من احتسائه بلثمةٍ من كل خيرٍ في الحسان ومبسم !
من (باسلامة) مثل ذوب التبر أو

من (مشعبي) مثل لون العندم^(٢)
مثل الطلاء في لونها وصفائها ونقيضها في رجسها والمائم
لا نقصَ عنها فيه إلا أنه حُلُو المذاق وأنه لم يحرم
فاشر به متخذًا نديك كل ذي أدبٍ متى نادمتَه لا تندم

همام : أحسنت يا بلبل الوادي !

آخر : أجدت

آخر : لقد رَوَّحَ ستَ بالصوت أكبادًا وأرواحا

همام : وقد تفرد بالإحسان شاعرنا إذ ضمّن الشعر توصيفاً وإصلاحاً

وأنصبتوا لشاعر من شعرائكم سَبري

« الحامدي » يصف الشاي بوصف عبقرى !

(١) البراد يطلق هناك على إبريق الشاي .

(٢) صنفان من الشاي اشتهرا في حضرموت بهذين الاسمين .

رَوَّقَ لها ماء الغمام وهاتها لي والحباب يجول في جنباتها
 صهباء ما عبت بها يدُ عاصر ما عاشرتْ إلا أكفَّ سَفَاتِهَا
 من جَيِّد الشاي استحال عصيرها
 فغدت تحاكي الشهب في جاماتها
 قد راق منظرها ورق زجاجها
 فليعلية لم يُدهقوا كاساتها
 لولا انتصافُ الكاس خيل أنها
 في كف ساقها تقوم بذاتها !
 وإذا الهموم على النديم تكاثفت
 وبدت أشعتها جلت ظلماتها !

حقاً لدينا نهضة أديبة لا تُكسرُ
 عَمَرَت نوادينا ، بها يستبشر المستبشر
 نشط البيانُ فشاعرٌ يشدو وآخر ينثر
 هذا لعمرى مُؤذِنٌ بنهوضنا ومبشِّر

(يتنهَّد)

لكن .. مَشْنِي العِلْم في أحيائنا متعثر !
 جَمَد (الفقيه) على متو ن بالشُّروح تُفسَّرُ
 وكأنها التنزيل أو هي بالقداسة أجدر !!
 ويرتل (النحوي) كُتِبَ خلافه ويقرَّرُ
 بمضي عليه عمره لا يستطيع يُعَبِّرُ !
 أما (الحديث فبانهم يتلونهُ كي يؤجروا
 ووظيفة (الذكر الحكي - م) على القبور يكرَّرُ !
 أما سوى هذي العلو م فأمسه مُستَحَقَّرُ

كيف النهوض لأمة لا علم فيها يُذكر ؟
 في الدين والدنيا جميعاً سرُّها مُتَقَهَّر !
 أحد المتأدِّين (معروضاً) :

إنا علينا السعي للـ أخرى ؛ وللدنيا سوانا !
 أو ليست الدنيا بسجٍّ من المؤمنين كما أتاننا ؟
 الله يأمر أن نكو ن أجلّ أهل الأرض شأننا !
 وأشدّهم بأساً وأر فعهم وأعلاهم مكانا
 كيما نقيم العدل في الـ دنيا ونملأها أمانا
 فإذا اتبعنا ما يقولُ فسوف يُدخِلنا الجنانا
 فنرى بها الدنيا كسجٍّ من لا نرى فيها رضانا
 والدين بالدنيا فليس يقـ وُم ما ضعفت قوانا
 وطبيعة الإسلام لا ترضى المذلة والهوانا
 هذا المراد ، وحسبنا قرأنا مولانا بياننا

« يلتفت إلى جماعة من الشبان العاطلين من أبناء السادة
 والمشايخ كانوا قد حضروا المجلس » :

يا بني الأشراف قوموا وانفضوا
 فكفى ما كان منكم من كسل
 اعملوا لا تتوانوا واعلموا أن هذا ديننا دين عمل
 بينما الناس على أعمالهم بين تشمير وجدّ مكمل
 تتهادون كأسراب القطا وتمشون كقطعان الهمل ؟
 أفلا يغشاكم فيه حبا ؟ أو لا يلحقكم فيه حجل ؟

- ٢٦ -

أحدهم : إنهم أتينا هنا بنهوتنا
فعلينا العلم أن نخدسه
همام : إن هذا الرأي منهم خططل
فمتى عُذَّ من العار على
يحب الخير إلى أهليه مِنْ
وأخيات على أوجهها
تتمنى ما لدى جاراتها
أو لم يكسب المختار في
طالب العلم ولا كسب له
ليس من لم يكسب متكلا
عن تعطينا لأعمال السفلى
وسيفنى من على الله أكل !
وأراكم لا تقرون الخططل
سيّد مسعاه في خير السُّبُل ؟
والدِّ أعمى وأم تبتهل
كمدة اليأس ولألاء الأمل !
من أثاث وحليّ وحلل
عهده والآل والصحب الأول ؟
بسؤال الناس لا بُدَّ يُلِّل
إنما الكاسب عين المتكل !

* * *

أبني الرسول تعلموا وتدبروا سُنن الحياة
لا تجمدوا ! إن الجمود
سبيل من كره النجاة

* * *

أسلافكم وجدودكم شهدوا عصوراً غير هذا
فلو أنهم شهدوه ما انتب
شذوا عن الدنيا انتبازا

* * *

لا تجعلوا أعمالهم حججاً ، ولكن محصورها
فخذوا محاسنها وحلّوا
وا ما ترون الرئب فيها

* * *

- ٢٧ -

لا بأس من تمجيد ذكـ راهم ففي التمجيد ذكرى !
كم حاضر تحت الرمـو س أفادته ماضيه نشرنا

* * *

لكن بحيث يُهيب نحـ هو الجحد منطلق القيود
العصر غير العصر والـ أشبال أبناء الأسود !

* * *

كانوا هداة الناس بل كانوا ملائكة التقى
قد أكبروا شأنَ الفنا ء وأصغروا شأنَ البقا

* * *

لما سرت رُوحَ التصو ف والتبَّتل فيهم
مقتوا الحياة كأنها أشياء لا تعنيهم

* * *

فالموت همهمو ، وغا ية همهم دار المآب
فَعَنُوا لَـلْـنا بالقبرو روما إليها من قباب

* * *

وتعشقوا الموتى فأحـ يوا لأذكارهم المواسم
يجثون عندهم العزا عن عيش سوء غير دائم

* * *

فقفوا أمامهم خشـ عا في سكون واحترام
فقد انقضت أدوارهم فعليهم أركى السلام

* * *

- ٢٨ -

شَهِدُوا زَمَانًا فِيهِ قَدْ غَلَبَ الْجَمُودُ عَلَى ذَوِيهِ
أَنَلُوهُمْهُمْ ظُلْمًا لَأَنَّ كَانُوا فَرِيقًا مِنْ بَنِيهِ ؟

* * *

إِنَّمَا لِنُظْلِمَهُمْ إِذَنْ وَهُمْ التَّقَاةُ الصَّالِحُونَ
رَامُوا رِضَى مَوْلَاهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَعْمَلُونَ

* * *

لَكِنْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِلْحَقِيقَةِ طَالِبِينَ
لَا تَقْبَلُوا مَا جَاءَكُمْ عَنْ هَؤُلَاءِ مُسَلِّمِينَ

* * *

وَتَدَافِعُوا عَنْهُ — عَلَى جَهْلٍ — بِحَقِّ أَوْ بِطَائِلٍ
لَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ عَنْ خَطِيئَةٍ وَإِنْ كَانُوا أَفْضَلَ

* * *

الْيَوْمَ قَامَتْ نَهْضَةٌ فِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ حَيَّةٌ
وَسَرَتْ إِلَى الدِّينِ الْحَنِيفِ فِي حَيَاتِهِ الْأُولَى الْقَوِيَّةِ

* * *

شَبَّتْ بِهَا الْحَرْبُ الضَّرُورُ سَ عَلَى الطَّوَارِئِ وَالبَدْعُ
مِمَّا بِهِ الْأَهْوَاءُ قَدْ مَا أَلْصَقَتْهُ وَالشَّيْبَعُ

* * *

فَلَقَدْ هَوَتْ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحُضِيِّضِ الْأَوْهَدِ
وَقَضَتْ عَلَى أَوْطَانِهِمْ لِلْمُسْتَبِدِّ الْمُعْتَدِي

* * *

لا بدّ من هذا الرجو ع إلى الكتاب الخالد
وإلى هُدى المختار والـ سلف الحكيم الراشد

* * *

فعلیکموا أن تدخلوا هذا الغمار ولا تکعوا
أنتم بنو الهادي فما في سبقکم للفضل بدع

* * *

كونوا مثال النبیل کو نوا قادة للمسلمين
والدين كونوا في طليعة ناصريه المصلحين

* * *

واقضوا على الأوهام لا تجذّن بينكم نصيرا
ومتى دعوتكم للصالح هديتم بشرا كثيرا !

* * *

وتعلّموا أن الوری في شريعة الهادي سواء
ما الفضل إلا بالتقى والكل من طين وماء

* * *

أما الثقاليد القديمة فاتركوها أجمعها
أو لم تكن للفتنة الععمياء فيكم مهيعا ؟

* * *

عاذّ جرت قدما يطول بها القوي على الضعيف
العصر بمقتها ، وليس يقربها الدين الخفيف !

(يرى ثلثة منهم يتهامون)

فيمّ تهامسون ؟ وممّ تعجبون ؟

(ينظر بعضهم إلى بعض ويحيب أحدهم) :

القوم للذي قد قلت منكرون !

آخر : يقولون ترشّدت !

همام : وهل بالرّشد مِنْ لوم ؟

فهذا (قُطِبَ الإرشاد) (د) ربّ الفضل في القوم !

أحدهم : نحن نعني فئة النصب التي أبغضتنا آل بيت المصطفى !

جاءتنا بالعِدا في (جاور) وبوادي (حضرموت) في الجفا

همام : سؤتم ظننا ، وما زلتم لمن جاءكم بالنصح تبدون الجفا

إنني من أعظم الناس لِمَا كان من شَغَبٍ (بجاءوا) أسفا

وأراها سبّة تجعلنا في عيون الناس بين السُّخفا

غير أنني لا أرى أعظم أسـ

وقفوا في وجه سبيل لو تولّـ

فطغت أمواجه ، حتى لقد

حكّموا الأهواء ثم انطلقوا

ونسوا أن المبادي لا تـرى

نُجّحها ما لم تسواخ الشرفا

* * *

أنا لا أعرف (إرشادية) لَأَ وَلَا (رابطة) أو جنفا

إنما أعرف (إسلامية) تجمع الناس على عهد الصفا

تجعل الناس سواء لا تـرى فيهم ربّا ولا مستضعفا

أنا لا أعرف إلا أننا قد غوينا مذ هجرنا المصحفا

أنا لا أعرف إلا أننا نشر الجهل علينا السُدفَا

- ٣١ -

فغدا العُرفُ لدينا مُنكرًا وغدا المنكرُ فينا عُرفًا

* * *

أنا لا أعرف إلا دعوةً (لجمال الدين) شقت غُلُفا
تندب الناس إلى دين الهدى مثلما كان بعهد المصطفى
لا خرافات وأوهام ، ولا بدع تحسب فيه زلفا
تفتح العلم على أبوابه في وجوه المسلمين الخفا
ليكونوا سادة الدنيا — كما وعد الله — عليها خلفا
ولقد أيدها تلميذه « عبده » فيما دعا أو ألفا
بث روح الحق في أتباعه فغدوا فينا غيوثا وكفا
فلنبث الروح فينا هذه في إحياء ووفاء ووفاء
لنحوز الفوز في الأخرى وفي هذه الدنيا المقام الأشرفا

* * *

يا بني الأحقاف توبوا للهـدى

واتبعوا (الذكر) ولوذوا (بالسنن)

وانشروا العرفان في قطركم

واستغلوه وأحيوا كل فنن

وتناسوا ما مضى وامتزجوا

وارحضوا الأحقاد عنكم والإحن

* * *

بينكم جنس ، ودين جامع

ولسان وعهود ووطـن

(ستار)

الفصل الثاني

المشهد الأول

« همام في مكتبه الذي يستقبل أصدقاءه فيه يتصفح أوراقا
له ورسائل . يستأذن عليه « محمد » .. يتعالقان ثم يجلسان
على كرسيين متقابلين تفصل بينهما المنضدة .

همام : أخي ! أين تغيّبت ؟ فعهدي بك من شهر
جرت في الربع أحداثٌ وظنني بك لم تدبر
محمد : ذهبتُ إلى زيارة شيخ أهل الكشف والسرّ
(وهنا يتسم ابتسام السخرية)

عمود الدين في « قُيُود » شيخ السر والبحر
ألم أخبرك إذ يمتُّ ما يمتُّ من أمري ؟
همام : (متنفسا الصعداء)

بللى إنسي ذكرتُ الآ ن ! فاقبل يا أخي عنري
بلانسي الله بالحب ! فعقلي ذاهل دهري
نهاري كله فكر ! وليلي مدمع يحري !
ولا ينفعني علمي ولا رأيي ولا فكري
ولا المشهور من فضلي ولا الممتع من شعري !
محمد : أخي ! لا تنس أن تصير فالنح مع الصّير
وخلّ اليأس ولتقرأ معي : إن مع العسر

لما تألم في جسمي وما تغتم في صدري !
وما يحمل به ظهرك محمول على ظهري !
ألا تخبرني ماذا جرى طيلة ذا الشهر ؟
: همام جرى .. ماذا جرى ؟ لا شيء غير الضيم والقهر !
« ولي الله » ذو الحُبو ة والأردية الخُضر ا
وذو المسواك في العمة قـ سد أربى على الشير ا
ورب السبحة الغار ق في التسبيح والذكر ا
بها يُذكر في الناس ولا يذكر في السر
ومن يمشي بعكازين من أتباعه الكثر ا
يطاطي رأسه للأثر ض كالباحث عن سر ا
تدنى من (شهاب) سا عيا بالخلل والمكر
أتاه خاطبا (حسنا) لراشي دينه (بكر)
ولم يألُ اجتهدا عنده في الغض من قلدي
رماني بصنوف الزينغ والبدعة والكفر
ولا تجهل طرق القو م في الخيلة والختر ا
: محمد خفف عليك ! فإن أمرك هين والرأي يصره ذوو الأحلام
أفقد عدوك روحه بسلاحه وافلل شبا الصمصام بالصمصام
: همام (في شيء من العتب والموجدة)
أتريدنا نرشو الخبيث كما رشا بكرًا ؟ وأين مقامه ومقامي ؟
إن لم نكف عن الآثام نفوسنا فعلام ننقم ضلة الأقسام

محمد : لا يُخْطِرُ ظَنِّكَ مَا أَرَدْتُ ، فَلِمَ أَرَدْتُ
 إِنَّا نَلْجُودُ بِسَبَبِهِ وَمَلَامِ
 إِنَّا لَنَرِبُ أَنْ نَقَارِفَ خَلَةَ تَزْرِي عِبْدَتُنَا الْقَوِيمَ السَّامِي !
 لكن أَرَدْتُ سَقُوطَ هَذَا الْمَرْتَشِي
 بِطَرِيقَةِ تَكْسِبِهِ ثَوْبَ الذَّمِّ
 وَنَرَى غَازِيَهُ الْأَنَامَ لِيَقْلِعُوا عَنْ هَذِهِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ !
 مِنْ كُلِّ قَاسِيِ الْقَلْبِ يَنْصَبُ دِينَهُ لِقَضَاءِ لَذَاتٍ وَجَمْعِ حَطَامِ
 سَاطِئِلِ مَحَنَّتِهِ ، وَأَبْطُلِ سِحْرَهُ قَسْرًا وَالصِّقُّ أَنْفَهُ بِرَغَامِ
 وَسَيُصَيِّرُنَّ ذُو الْعَقِيدَةِ فِيهِ فِي
 بِرَذْنِهِ أَيَّ مَدَجِّلِ أَثَامِ !

همام : (وَهُوَ يَبْتَغِي ابْتِسَامَةَ الْإِعْجَابِ وَالرَّضَى)
 بَوْرَكَتْ يَا خَيْرَ الصَّحَابِ ! وَبَوْرَكَتْ
 رُوحَ الشَّجَاعَةِ فِيكَ وَالْإِقْدَامِ
 لَتَنَمَّ جَفَوْنِي مَا سَهَرْتَ فَإِنْ أَنَمَ

وَسَهَرْتَ أَنْتَ فَلَسْتُ فِي النَّوَامِ
 محمد هَاتِ عَنْ قَيْدِهِ نَ مَاذَا كَانَ مِنْ أَمْرِ ؟
 وَمَا شَاهَدْتَ فِي الْمَوْسَمِ مِنْ عُرفٍ وَمِنْ نُكْرٍ ؟
 وَهَلْ وَفَّقْتَ فِي الْإِنْكَارِ وَالتَّذْكَيرِ وَالزَّجْرِ ؟
 تَوَافَى النَّاسُ أَفْوَاجًا إِلَى قِيَادُونَ كَالذَّرِّ
 فَمِنْ سَاعِيَةِ تَمْشِي وَمِنْ رَاكِبَةِ الْحُمُرِ
 هُنَاكَ السَّاحَةُ الْكُبْرَى تَحَاكِي سَاحَةَ الْحَشْرِ
 بِهَا مَا شَتَّتَ مِنْ لُحُورٍ وَمِنْ لَغُورٍ وَمِنْ هَنْزِ

وقد غُصَّتْ بأشْجَاتٍ من الآسَادِ والعُفْرِ !
تَبَارَتْ ثُمَّ فِي الْحِلْمِ سِيَّةُ الْأَبْرَادِ وَالْحُمْرِ
وقد يُقْتَلْنَ بِالْمَعْصَمِ ! وَبِالنَّظَرِ السَّحَرِيِّ !!
مِنَ الظُّهْرِ إِلَى الْعَصْرِ إِلَى مُتَبَلِّحِ الْفَجْرِ !
هَنَّاكَ الْخَسْرَ فِي الدِّينِ وَحَسْبَ النَّاسِ مَنْ خَسِرَ
وَلَا يَرَى حَافِي تِلْكَ الْـ زِيَارَاتِ سِوَى النَّجْرِ
وَأَمَّا سَادَنُ الْقُبَةِ فَهُوَ الرَّابِحُ الْمَثْرِي !
تُسَاقُ لِدَارِهِ الْأَكْيَا سَ مِنْ حَبٍّ وَمِنْ تَمْرِ
(وَاللَّصْنَدُوقُ) مَا يَأْخُذُ مِنْ وَرَقٍ وَمِنْ تَبْرِ !

* * *

وَلَمَّا حَضَرَ الْوَقْتُ تَدَاعَوْا كَضَحَى النَّفْرِ
وَأُثْمُوا مَحْوِقِرِ الشَّيْءِ سَخَّ بِالطَّبْلِ وَبِالزَّمْرِ
يَصِيحُونَ : وَلِيَ اللَّهُ جَنَّتَاكَ إِلَى الْقَمْرِ !
أَتَيْنَاكَ لَكِي تَحْمِلَ عُنَا ثِقَلِ الْبُزْرِ
وَكَيْ تُسَبِّلَ يَا قَطْبُ عَلَيْنَا ضَاغِي السِّتْرِ
وَفِي الْأَنْفَسِ حَاجَاتُ بَهَا يَا سَيِّدِي تَدْرِي !
أَتَيْنَاكَ لَكِي تُقَضِّيَ وَنَحْطَى مِنْكَ بِالسَّتْرِ

* * *

وَلَمَّا وَصَلُوا الْقُبَةَ دَارُوا دَوْرَةَ الْحُمْرِ
وَأَهْوَتْ رَاغُ ذَاكَ الْجَمْرِ حَفَّ فِي التَّابُوتِ بِالنَّقْرِ

فلا تسمع إلا ما يصيب السمع بالوقر
 هناك الناس غير النـ اس في الإخبات والذكر
 فهذا خاضع شاك وهذا دمعته يجري
 وهذا ينشج النشجة تستعصي على الصدر
 وهذا يرعد الرعد في أعضائه تسري
 وهذا ينذر النذر وهذا جاء بالنذر
 وهذا صائح : يا سيدي عطفاً على فقري
 على عجزى وإهمالي على ضعفى على ضري
 وقد جللت القبة بالزينة والسـ بالزينة
 ويبيضات من البـ ر علقت على الجذر
 فمن حمر إلى صفر إلى زرق إلى خضر
 ومصباح كبير الضوء مثل الكوكب الدرّي
 وللتأبوت معنى من جلال العتق والقدر^(١)
 قد اسودّ من التقييل في مختلف العصور
 عليه ضيـب الفيض في أسود كالخـ
 فبدو كغور الزئج إذ تضحك من أمر
 فتمّ الضم والتقييل لـ بالثغر وبالنحر
 تلاقى فيه دمعاً الشا ب والجارية البكر

* * *

(١) العتق : القدم .

ولما سكن الجمعُ سكُونُ الموج في البحر
تراءى الناس شيخاً ذا شقاشقَ فيهم هُنُبر
ينادي : أيها الناس اهـنأوا بالفوز والنصر
بهذي النعمة العظمى بنيل الفضل والفخر
قصدم باب ذى عطفي وذى جود وذى بر
وإن الشيخ لا يترُكُ من زار بلا أجر !
عليكم بخلوص القصـد في السر وفي الجهر
وبالتسليم للأقطاب والخدمة والصبر
وإياكم وسوء الظن من بالصوفيّة الغر
فأهلُ الله هم . جازوا مناطَ النهي والأمر !
ملوكُ لهم التصريح ف في السر وفي البحر

* * *

سمعنا أن في (حدري) تباشيرَ من الكُفر^(١)
تصدى ناشئ غر بلاه الله من غر !
يربى الشجر كالفساء إذ يُعنون بالشجر
تلقى من فنون العلـم ما زاد على القدر
فأغواه وأرداه وجاء النفع بالضـر
ومن شيقوته استحلّى حميمَ الأدب المزري
جريء القلب لا يعبأ بالتهديد والزجر

(١) تطلق حدري على ما سفل من حضرموت كشبام وسيون وتريم . وعلوي على ما علا منها كدوعن وعمد وراذي العين .

يَبْتَغِي السَّمَّ فِي الْجَاهِ — لَهَا أَتْبَغُ سَوْءَ كُلِّ
بِأَهْلِ الْمَدَدِ السَّرِيِّ ! — يَسِيءُ الظَّنُّ بِالْأَقْطَا

هنا قممت وقد ضاق
رما باليت بالغرغا
وقلت اسكت عجوز السو
عدو الله والإصلا
أتدعو الناس للنكر
فصاح الشيخ : غولوه
فلولا أن تسلكت
لكانوا أعدمونى مهـ

بي الواسع من صدري
ء في عسكرها الحجر
ء يا ذاعية النكر !
ح ! هل تهذي ولا تدري ؟
وتهجو داعي الخير
فذا من شيعه الغير
من الجمهور بالفر
جئني بالضرب والفر^(١)

ہمام : (یضحک و یقوم إلى محمد و یضرب علی کتفہ)

حماك الله من سوء وقاك الله من شر
لقد قمتَ مقاماً لا يُوازي عظمه شكري
ولا بد لذي الإصلا ح من عزم ومن صبر

* * *

(١) الدفر : الدفع في الصدر .

المشهد الثاني

« في دار (حسن) في الطابق الثاني . غرفة كبيرة مفروشة
بمختلف السجاجيد الثمينة ، مكسوة جوانبها التي تلي الجدار
بالمفارش الجميلة عليها الوسائد والمياثر الناعمة .

علوية : (داخلية الغرفة)

أيها الربع سلامٌ عليكم !

خديجة : (ناهضة لاستقبالها)

وعليكم ألف ألف سلام !

مرحباً أهلاً بشخص كريم مرحباً بابتنة قوم كرام

(تصافحان فتجلسان)

علوية : يا صباح الخير !

خديجة : هذا صباحٌ : لكِ طَلَقٌ نَغْرُهُ في ابتسام

علوية : كيف حال الربع ؟

خديجة : في خير عيش نسأل الرحمن حُسْنَ الدوام

علوية : أين حُسْنٌ ؟ إن شوقي لحسن مثل ما اشتاقَ إلى الماء ظامي !

خديجة : هي في غرفتها

علوية : إئذني أن أراها ..

خديجة : هي ذات احتشام

تستحي من زائرنا

(تقبل الخادم بعدة الشاي)

- ٤٠ -

- علوية : وماذا ؟
- خديجة : قصدنا الأنس وطيبُ الندام
- علوية : قَسَمًا أَشْرَبُ إِلَّا إِذَا مَا نَشَرْتُ حُسْنَ بَسَاطِ الْمَدَام
- خديجة : (مهتسمة)
- أَتُجِيدِينَ احْتِيَالًا كَهَذَا ؟
- علوية : إِنَّمَا أُمْلَى احْتِيَالِي هِيَامِي

(تقوم خديجة ثم تقبل وتقبل وراءها حسن ثمشي على استحياء)

- علوية : (قائمة)
- مرحبًا بالبان يهتزُّ لِنَا ا مرحبًا بالبدر بدر التمام ا
- (تدنو فتقبل حسنا على خدها فتقبلها حسن على رأسها)
- وتجلس إلى عدة الشاي)
- يوه ا ما أجملها من فتاة يوه ا ما أصلحها لهمام ا
- صلواتُ الله تغمر طه وحماها الله من عين رام
- (يخفق قلب حسن ويتصاعد الدم إلى وجنتيها فيتوردان)
- وتطرق حياء وتتشاغل بإصلاح الشاي)

خديجة : (في تجاهل واستغراب)

مَن همام ؟

- علوية : تسأليني عنه ؟ ليس يخفى البدرُ بين الأنام ا
- ذلك المصلح زين شـ باب القطر ذو الهممة والاعتزام
- ذلك الخالي بكل جميل ذلك العاطل من كل ذام
- ذلك المشهور في كل قطر بمزاياه الكثر العظام

والذي سارت بحسنِ قوافيه - إلى مصر وأقصى الشام
(تلاحظ ارتياب خديجة فيما إذا كانت هي رسولاً من همام وسفيراً له)

لا تظنني رسولَ هُمام أنا لا أعرف شخص همام
إنما آسفٌ أنْ كرمنا مثله يُمنى بقوم لئام
هو يسقيهم كموسَ حياةٍ وهم يسقونه كأس سام^(١)
خديجة : ما تقولين ؟ أليس همام حاد عن نور الهدى للظلام ؟
ودعا الناس إلى أن يقولوا فيه ما قد زُوروا من كلام
علوية : ما استطاعوا أن يُزُنُوا إلا بالذي يُعليه أسمى مقام
خديجة : إن قلبي لـيودُ هماماً ورضى بنبي أقصى مرامي !
(تلاحظ علوية من كلام خديجة أنها مقتنعة بحب حسن همام)

فتقاطع حديثها وتلفتت إلى حسن قائلة (:

أتحبين هماماً :

حسن : (في تلثم وخجل)

ومن لا يعد .. شق الحر الحسيب العصامي
فرع الناس بعلم وخلق وجهاد في الهدى واعتزام !
خديجة (عائدة لتمة حديثها)

غير أنني لا أطيق كلام النـ ساس في زوج ابني باللام
فلزوج البنت عندي محلٌ في السويداء من القلب نام
خبريني كيف أدفع عنه حين يُرمى بالفِرَى وأحامي
ليته خلّى زمام الورى فيهم ، فما كان بربّ الزمام
فيهم يهتهم بأمر سواه وهو لما يغدُ سنّ الغلام ؟

(١) السام : الموت

لو تملى بليالي صباه
لو تملى عن شؤون البرايا
فمضت في غبطة وسلام !
وتولى شأنه باهتمام !
وتعامى عنهم !

علوية : هو يخشى
فوالذي يكتم علم الهدى يُلد
غضب الله لهذا التعمى
حجم من نار لظى بلجام
إنما ضرّ البرايا تعامى
هؤلاء العلماء الضخام
يصرون النور وهو مضىء
فيلوذون بسر الظلام !
ويرون الناس في ليل جهل
يتدحّى أفاقه بالقتام
يتراءون على كل قبر
ومصاب الدين في ذا التزام
ويرون المنكرات عظاماً
فتراهم عندها كالعظام
ويقولون : لنا بالآلى قد
غبروا من قبل حسن ائمام
أنرى نعزو إليهم ضلالاً
وهم أمثلة الاعتصام ؟
مثل هذا عذرهم وهو عذر
سوف لا يقبل يوم القيام !

* * *

فخليق بفتى كهمام
إذ يرى موطنه في انحطاط
أن نرى غيرته في اضطرام
ويرى أمته في انقسام
دب فيها داء جهل وخلف
وعداء قاتل وخصام
فانرى ينعمشهم من حمول
ومضى يوقظهم من منام !

خديجة : فهبيني قد رضيت ، فمن لي
بشهاب وهجو صعب الزمام ؟
وهو لا ينفي ويثبت أمراً
بسوى رأي (الولي) الإمام !

- ٤٣ -

جاءه من قبل عشرين يوماً
ورجا تزويج حُسن (لُبَكْر)
قال : إن المصطفى يتأذى
وأولو البرزخ سوف يغيرو
فنهاه عن قبول همام
فيه اليمن وحسن الوئام
من همام ، قلبه منه دام
ن عليه عاجلاً بانتقام
(في غضب) :

علوية

ذلك الدجال لا ريب فيه
قد رشاه بالريالات بكر
أفؤاد المصطفى غير راض
وأولو البرزخ كيف يغيرو
أولي الله عبد الخطام ؟؟
والرُشى للقطب غير حرام
عن غيور عن هداه يحامي ؟؟
ن على حي وهم في الرجاء ؟؟
معشّر ماتوا وصاروا إلى النية
تُرّهات جعلوها من الديو
ران ، أو صاروا لدار المقام
ن ، تعالى ديننا المتسامي !

المشهد الثالث

(علوية تزور زهراء في بيتها)

علوية : صديقتي ! إنني لمشتاقة إليك
زهراء : واشوقي للقياك !

(تتعانقان بلهف)

علوية : أهلاً بمأتاك ، وشكراً لذكرك
أهلاً بمأتاك ، وشكراً لذكرك
علوية : عندى بشرى لكم
زهراء : بشرى
علوية : عندى بشرى لكم
زهراء : بشرى
علوية : عندى بشرى لكم
زهراء : بشرى

- علوية : أين همام ؟
 زهراء : أهى بشرى له ؟ هاتى أطال الله حياك !
 علوية : ييكى لها الباكي ؟ ألا ويجه ويح لذاك الأسد الشاكي !
 زهراء : هاتى أبينى : ما الذى جئنا به ؟ رعاك الله مولاك
 علوية : لعل أن تفشأ عنه الأسى يملك ، ما أبرك يملك !
 زهراء : خديجة أينت من قلبها على همام
 علوية : كيف وأين ومتى ؟ هل جرى ذاك ؟
 علوية : زُرْتُهَا أمس وهالك ما جرى هالك

« تقص عليها حديث أمس كله مما جرى بينها وبين خديجة وحسن .

تستأذن زهراء لبشر هماما . تنطلق إلى غرفته وتعود بعد حين إلى علوية » .

- زهراء : بشرته فانهملت عينه من فرح ما كان لولاك
 علوية : وقام من مضجعه ناهضاً يشكر حق الشكر مسعاك
 زهراء : لم آت ما أشكر من أجله !
 علوية : يمثل ذا اللطف عرفناك
 زهراء : إن هماما قانع في الهوى بكذبة من فم أفاك !
 علوية : ويأخذ اللفظة فالأله من قصة يوردها حاك !
 زهراء : وقد يرى الحليم فيعنه نور رجاء وسط أحلاك

فكيف لا يكي سروراً وقد جاءته بشرى مثل بشراك ؟
أما شهابٌ فله خِلَّة محمد ذو الخلق الزاكي
لازتما عون أخي دائماً والله يرعاه ويرعاك !

* * *

المشهد الرابع

« سالم في بيت السيد (ولي الله) لتحقيق المهمة التي كلفه
محمد إياها . يدخل على ولي الله في غرفة فخمة مزودة بكل ما
يستطاع الحصول عليه من الفرش الثمينة والمتاع النفيس . يجده
مستنداً إلى جبهة من الوسائد ماذا رجله لرجل عنده يكسهما » .

سالم	: سيدي يا صاحب السر العظيم يا ولي الله يا غوث العديم متع الله بحياك الوري مرحباً بالخادم السر الذي حسن الظن بأهل السر يا آه - لو يعرفني هذا الوري أنا جيلاني هذا العصر ، قد خضت بحراً وقف الخلق على من رأي أو رأي من رأي أهل هذا القطر ما دمت به يولد الطفل على عيني ، كما أسعد الناس بنا أحسنهم
الولي	: يا ولي الله يا غوث العديم إنما وجهك مصباح العليم خصه الرحمن بالقلب السليم خادمي تحظ بمجنات النعيم لأتوني من قصبات النجوم وطئت رجلاي أغناق النجوم ساحليه في زهول ووجوم - فهو محظور على نار الجحيم في رخاء وهناء مستديم يرحل الراحل أو يغني المقيم نية فينا فذاك المستقيم

ليت شعري كيف أقضي حاجة
لفتى نغص من عيشي النعيم ؟
كبه الله على منخره !
وسقاه الله في النار الحميم !
كم عنائي أمره من مارد !
ولكم عذاب قلبي بالهموم !

والذي نفسي فى قبضته وبه السَّبْعُ السماوات تقوم !
نحن لولا أنْ فى غضبتنا حِطَّةٌ من رتبة (القطب) الحليم
لضربنا ضربةً تنسيفه وتركناه كمذروء الهشيم
وأصابتْ يته نائبةٌ تذهل الموضع عن رعي الفطيم
: إنما نقضي على أنفاسه إن جعلناه إليكم يستقيم
' إنَّ هذا هوَ الرأي الذي يحفظ الناس من الداء الوخيم
: أتراه يرعوي عن غيِّه إن أعناه على نيل المروم ؟
: ذاك ما لا شكَّ فيه ، وأنا لكم بالكفِّ عن ذاك زعيم
: خادمي ! رأيك هذا صائب فهمام خطرٌ فينا عظيم !
الولي
غير أنَّ الأمر قد فات ولم يبق في الرأي مجال للحكيم
قد خطبناها (لبكر) قبله وحبانا منه بالمال الجموم
فرميناه (بصندوق القرى) لغريب أو فقير أو يتيم !
(يسكت قليلاً ثم يقول)

كم همائم دافع من ماله ؟

: ضعف بكر أيها المولي الكريم
: ذا إذا ألف ريال ! هاته قم ! وثق أنا سنقضي ما يروم
الولي
إن بكراً ذو غنى ، لكنه يابس الكفِّ شحيحٌ ولئيم !
سيرى عاقبة البخل غداً عندما يُخطئه الوجه الوسيم !

(يستأذن سالم بالانصراف فينصرف . يعود إلى بيت ولي الله

من الغد)

- ٤٨ -

سالم : قد فعلنا كل شيء وظفّرنا بهممام
وارتضى ما قد شرطنا ه عليه بالتزام
وهو مسرور بهذا شاكر سعي الإمام
تارك دعوته النكراء من أجل الغرام

الولي : آخذ أن ليس يؤذيكم بفعل أو كلام

سالم : أين ما أعطاك ؟ هل أقبلت بالمال الزام ؟!

الولي : هاك تحويلاً إلى « جا وَا » بألف بالتممام
(يمد يده للتسلم)

هاته ليس لجيبي بل لصندوق المقام !!

* * *

المشهد الخامس

بين ولي الله وشهاب :

الولي : جاءني الليلة آتٍ في المنام صائحا يهتف حسنُ لمام

إن بكراً فسدت نيتُه في توليها بحبٍّ واحترام

شهاب : إنه يا سيدي مبتدع

الولي : إنه قد تاب عن هذا الإثم

شهاب : (في استغراب)

ومتى تاب ؟

الولي : أتاني نادماً أمس مما بث في الناس السمام

إذ دعونا الله أن يهديه سمح الله بإدراك المرام

شهاب : (في خضوع وتسليم)

ليكن ما شئتم يا سيدي نحن نرضي رأي مولانا الإمام

* * *

المشهد السادس

بين زهراء وخديجة :

زهراء	: صديقتي ! إن قلبي	مما فعلتكم لموجع
	أشتاقكم غير أنسي	من وصلكم أمتنع
	فلأن جرحي منكم	فيه الأسا ^(١) ليس ينفع
	ولو أطعت صوابي	ما جتكم أتسكع
خديجة	: زهراء : لا بأس بالعنـ	ب فهو للودّ أجمع
	ما ساء قلبك مني ؟	قولي لعلّي أرجع !
	فرمما خبّ واش	فيما إلى الدحس يهرع ^(٢)
	وذا زمان لئيم	فيه المودات تقطع
زهراء	: إن هماً شقيقي	له بقلبي موضع
	فنيلكم منه نيل	مني بغير تورع
خديجة	: زهراء ! أسرفت في تهـ	مّي ، فبعض التسرع
	فما ذكرت هماً	إلا بما عنه يسمع
	من الخروج على النـ	اس في تقاليد تبـ
	قصصت ذاك لعصماء	من بنات المشفع
	لأنها لهمام	رأيتها تتشفع
	قامت تدافع عنه	بحجج ليس تدفع

(١) الأسا : مصدر أساه بأسوه داواه أي لا تنفع المداواة فيه .

(٢) الدحس : إفساد المودة بين الصديقين .

زهراء
خديجة
زهراء

وإن قلبي ليهوى
إذن فماذا التلأئي
إلا رحمتكم فتى من
تكاد أحشاؤه من
: إن الإبا من شهاب
لأن رأي شهاب
: (في غضب)

خديجة

القطبُ لص عن
يشري ويتاع « حُسْ
كانها سلعة في
ألم يبعها « لِبَكْرٍ » ذا
كان سود الدياجي
ثم أرتجى من همام
ورعما باعها في
والناس ظنوا أباكم
إن السولي عن السوء
أبوكم ليس يدري
ولو درى لتبراً
: (وهي تتألم) :

أقد تحذت عنا
يا ويلتاه ! أنؤتي
إننا أناس على عزّ

بذاك في كل مجمع
من حيث لا توقع ؟
نا نحامي وندفع

أعراضنا هي أغلى ما في الحياة وأمنع
لو كان يدري شهابٌ لما تهنّا بمضجع
وسوف يدري عسى عن هذا المدجل يُقلع
(تتهد وتستهبر)

يا ليت (سعدًا) لدينا في أمرنا اليوم يقطع
لما ألاننا اجتهدًا في أخذ ما هو أنفع
لكنه غاب عنا تسع سنين وأربع
في أرض (جاوا) التي تأكل الرجال وتبلع
راح ليجمع مالا لنا به نتمتع
يا بهس ما جمعت كُفٍّ به وما هو يجمع !!
ماذا يفيد الغني من ينسر أهلاً ومربع
تزوجت « مزفة » عُزُّ سها به لم يمتنع
تُسال : أين أبوها ؟ فلا تجيب ، وتدمع
وهذه أختها أوشد كت تزف وتخلع
فواشقاء حياة فيها الفؤاد موزع

المشهد السابع

(بین سالم وشہاب) :

سالم : مالي أراك كهيّا ؟ مُتَقَمًّا يا شهاب ؟
فما أصابك ؟ قل لي

شهاب : إني بخطيب مُصابٍ !

ذاك الذي كان يدعي بذكره ويُجاب

وَمَنْ بَغَرْتَهُ كَمَا يَسْتَدْرِ السَّحَابُ !

من كنت أبصرُ أخطأَ ۖ وَهُنَّ صَوَابُ

قام يُلَوِّثُ عِرْضِي. معا به النَّاس عابُوا

فَقِيلَ إِنَّي طُمُوعٌ بِالْمَالِ وَهُوَ كِذَابٌ

لولا المدجّل هذا لما علاني عاب

للهُ درهُمُ امام فهو الحكيم العجّاب

إِذْ قَالَ : أَمْثَالُ هَذَا فِي الْمُتَّقِينَ ذِيَابٌ ۝۱۱

وَأَنفِصَا سَلَامَتَهُم عَنِ الْعَيْنِ الْتِيَابِ !

فَمَا نَرَاهُ شَرَابًا مَّا هُوَ إِلَّا سَرَابٌ

سالم : أنا الذي سلّمته مال هُمَام يدي

فلا تكن من أمره في شك أو تردد

إِنْ هُمَا لِلْعَصَا مِىَ الْكَرِيمِ الْمُتَحَدِّ

مهما يقل فإنه زينٌ شباب البلد

رَأَى لَا تَصْغِي إِلَى غَيْرِ كَلَامِ (السَّيِّدِ)

ولم يجسد إلا ولي الله خير مسعد
 فلم يدع رأي صديق فقهِ الفتى « محمد »
 ولم يكن ذاك الذي يهدي الوري بمهد
 مد إلى الدرهم جسد ذلك في صيد !!
 وكان ما كان فلا تغضب ولا تفند
 أنت عليك الغرم والغم لرب المدد !
 هذا جزا تارك رأي - له لرأي أحد !!

* * *

المشهد الثامن

(بين شهاب وبكر) :

بكر : يا عم ما الذي جرى ؟ رددت ميني اليك
 شهاب : ألسنت قد قبلتني فما عدا مما بدا ؟
 (يتجلد ويخفي غضبه)

بكر : حفظك يا بكر - الذي حلا عنك الموردا
 شهاب : فأطلب سواها تل - نقهن كالرمال عدا
 (في وقاحة)

بكر : وأين أموال التي أنفقت فيها بددا ؟
 شهاب : لمن دفعتهما ؟ !

بكر : لـو لانا الولي المفتدى !
 شهاب : (في سخريه)

- ٥٥ -

إذن فخذها منه لا تطلب سواه أحدا
بكر : (معوضاً)

أعطيت له لأنسه كان لكم معتمدا
شهاب : (في غضب)

خسئت يا نذل فقم وخلّ عنك اللدا !
أليس فينا حاكم يحكم هذي البلدا ؟
فاشك إليه من على مالك - إن شئت - اعنى !
بكر : (في تضعضع وخجل)

إذن ... فمالي كله
.. أكله .. وازدردا ..
إذن ... فلم يعطك من مالي ... شيئا أبدا .. !
أما اكتفى بما ارتشاه نصف ألف عدا ؟
يا ويلتا ! واحسرتا ! واحزننا ! واكمدا !
لأرفعن أمـره إلى الأمير «أجدا»
أفضحه عند الورى .. !
شهاب : (وقد سرى عنه)

الآن أبصرت الهدى !
بكر : (يتهدد)

فليمض مالي لظهو ر سيقاته فـدي !!

* * *

المشهد التاسع

(همام في مجلس الأمير « أمجد » وقد دعاه إليه) :

الأمير : أتدري يا همام لأيّ أمر دعوتك لي ؟
همام : خير يا أميري ؟
الأمير : ألم تعلم بما اجترمته كفا ولي الله من إثم كبير ؟
همام : بلى هذا حديث قد فشا في حمانا في الكبير وفي الصغير
الأمير : فماذا أنت يا سندي مشير به في مثل ذا الأمر الخطير ؟
همام : أرى أن تحبسوا الجاني وأن لا

تسبوه بسوء أو نكير
فمطلق حبسه كاف - أراه - لردع سواه من أهل الشرور
الأمير : ولكن والدي يخشى علينا - إذا عاقبته - سوء المصير
يُحايز دعوة منه علينا فتلحقنا بأصحاب القبور
همام : أمير ما عهدتك غير حرّ طليق الفكر متقد الشعور
وحسبك ما قرأت عليك طردًا

لأوهام توسوس في الصُّدور
أتعرفن إثمهُ وتخاف منه ؟

أقبل دعوة العاصي الكفور ؟؟
كذاك الوهم تُشربه نفوس فتشهد ما تُخيّل من أمور
وقل لأبيك ذا بكرٍ شكاه وهتك ما عليه من ستور
فلو كان الولي لديه حولٌ لكان رماه بالسهم المبير

فإن تجبسه جئت به دليلاً
فليس أذاه مقصوداً ولكن
الأمير : لقد قررت هذا الرأي قبلاً
وإن الدجل أبغض كل شيء
يسجل عجز أقطاب الغرور
ليطيل سحره بيد الأمير !
فبورك في ذكائك من مثير
على الدنيا يضيق به ضميري

* * *

المشهد العاشر

(يأتي لزيارة محمد فيستقبله محمد في غاية الحفاوة)

شهاب : محمد أنت الجريء الفؤاد
فلو كان من ربّه مُرسلاً
وتعلم ما كنت أوذي هُماً
أتابع في أمره مُفسداً
وإني على ما مضى نادمٌ
وأنت يا صلاح أمري حفي^(١)
محمد : ألا مرحباً بالسَّليم الفؤاد
وبالظَّاهر السَّيرة الأشرف
بصهر هُمام الوديع الصَّفي
وليس يُطاطئُ للمُعسف^(٢)
همامٌ يُحبِّك مهما فعلتَ
به عن ولائك لا يتنفي
يراك أباهُ فمهما قسا
عليه لتأديبه يعطِف

(٢) هو الظالم الشديد العسف .

(١) عارف وخبير .

(يتسم شهاب وتتهلل أسارير وجهه)

شهاب : فله ما كان أنقى هما
أضارُسه ثم يلقى ودوداً
محمد : بقدر نبالة أخلاقه
ثمادي به حبها فهو لا
بيت يناجي نجوم السما
ويجلس في بيته للطعام
فيذهله الحب عما لديه
واني لأخشى عليه - إذا
هنالك تخسر زين الشبا
ويسالك الله عن مهجة
شهاب : (وهو يكي)

كفى يا محمد ! إني أتيت
فلو كان ذنب همام فحسب
أزوجه اليوم من حسنه
ولكنني قد عصيت الإله
لقد غرتني وعد ذاك الولي
وبشّرني أنه قد رأى
فلم أتزوّد لندار البقاء
فأيقنت ذا اليوم أن ليس ين
وأن ليس يحمو خطاياي
نصائح كان ينادي بها
فها قد بدت لجميع الأنام
لتكفير أعمالي الخاطية
عليّ خفف على باليه
فيغفر زلاتي الماضية
وعرضت نفسي للهاويه
محور خطيئاتي الخالية
قصوري في الجنة العاليه
أكلاً على الزلف الواهيه
فعني غير أعمالي الزاكه
غير النصوح من التوبه الماحيه
همام فترمي بها ناحيه
خازي مدجلنا الغاويه

محمد : سلامٌ عليك دموعك هـ
 فـلا تبتـيسْ ، إِنْ رَبًّا هـذاكَ
 لِيُغِي بِكَ الْخَيْرَ فِي الثَّانِيهِ
 « يَريـدُ شهابُ النُّهوضَ فيمـسكـه مـحمدُ قائلًا »
 وَأَمْرُ هُمَامٍ ؟؟

شهاب : وماذا يَريـدُ هـمـ
 هـي اليـومُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَا
 وَلَكِنْ . حَدِيثُ (الرُّشَى) ^(١) الْمَسْرُوعِ
 فَمَا زَالَ يَلْهَجُ أَهْلَ الْحِمَى
 وَأَنْ شَهَابًا تَسْلَمُ أَمْوَالُ
 فَقَالَتْ نَوَاحِرُ تَزْوِيجِ حُسْنِ
 فَمَا كَانَ لِلْمَالِ إِثَارُنَا
 فَأَوْصَ صَدِيقُكَ أَنْ يَطْمَئِنَّ
 وَأَمَّا وَلَيْسَ لِحُسْنِ سِوَاهِ
 مُنَايَ مِنَ الذَّهْرِ إِلَّا رِضَاةُ
 تَفْطِيزِ شَوْشِ أَفْكَارِ أُمِّ الْفَتَاهِ
 بِأَنْ (الْوَلِيِّ) هَمَامُ رِشَاهِ
 بِكَرٍّ وَلَمْ يُعْطِ مَبْتَغَاهِ
 مِنْ لِنَقْطِيعِ أَلْسِنِ هَذِي الْوِشَاهِ
 وَلَكِنْ لَعَلِّمْ وَفَضْلَ وَجَاهِ
 إِلَى الصَّبْرِ حِينَ لِيَلْقِي مِنْهَا

محمد : أَلَا لَيْتَ شَعْرِي مَاذَا يَقُولُ
 أَقَدَّمَ بَاقِيَةَ زَهْرٍ لَهْ
 فَلَوْ رُحْتُ تَنْصَحُهَا بِالْعَدْوِ
 عَلَامٌ تَبَالِي كَلَامَ الطَّغَامِ
 وَأَعْيَانِ (سَيُورِ) تَدْرِي أَلَمْ
 سَيُحْبِسْ هَذَا الْوَلِيَّ الشَّقِيَّ
 لَ هَمَامٌ إِذَا رُغِيتَ بِالْخَيْرِ ؟
 وَأَطْوَى لَهُ الصَّلَّ بَيْنَ الزَّهْرِ
 لَ عَنْ رَأْيِهَا ! عَلَهَا تَأْمُرُ !
 وَمَا يَنْطَقُونَ بِغَيْرِ الْهَذَرِ ؟
 حَقِيقٌ وَبَعْدَ غَدٍ يَظْهَرُ الْمُسْتَرُ
 وَتَفْضِضُ سَوَاءَاتِهِ وَالْعَرَرُ

- ٦٠ -

شهاب : لعلك تجهل أنّ النساء إذا قلن شيئاً فهُنَّ القدر
ولا يرعوين عن الرأي لو وضعت بأيمنهنّ القمر
فكم قد سعت وكم قد نصحت ولكن كأنّي نصحت الحجر

محمد : إذن لن يطيق همام المقام هنا ،

شهاب : ليرح نفسه بالسفر
إلى الشام أو مصر أو للمهاجـر (جاوّة) أو للبلاد الأخر
وبعد ثلاثين شهراً يعو د ، وسوف تمرّ كلمح البصر
هنالك تبلغ سنّ الزّواج (حُسن) وتنضج نضج الثمر
وربّما عاد (سعد) إلينا فيز هو به عُرسنا إن حضر

(ستار)

الفصل الثالث

المشهد الأول

« بين همام وزهراء » .

زهراء

: (في جزع)

أهمامُ خَبَّرني بِوَدَّكِ لي مالي أراك تَضُدُّ الكُتُبَا ؟
ماذا اعتزمتُ أَننتِ تاركنا للحادثات تسومنا الكُربَا ؟

همام

: (في حنو)

لا يَا أُخَيَّةُ ! أَجملِي جزعا لا ينس قلب المؤمن الرِبا
سفري لطول إقامتي سببٌ ولربَّ بُعدٍ أعقب القُربَا

(يتغير وجهه)

إنني أخافتُ إذا مكنتُ هنا أن لا أطيعَ فأقضي النَّجْبا !

(يخالط صوته البكاء)

أيسرُ قلبك أن أموت أَسَى في الرَّبعِ إذ تبكينني ندبا ؟
أو ما رأيتِ القوم قد قطعوا صوتَ الحياة وكان قد لَجَّ !
حفلوا بسمعتهم - كما زعموا - لكنَّهم لم يحفلوا الصَّبَا
ليمتُ شهيداً من يشاء ولا يتوهموا في عريضهم ثلُبا
آه ! أهذا كلُّ ما أتمنَّى ؟ ولقد وهبتُ الروحَ والقلبا !

(يتذكر حسنا ويستحضرها كأنها ماثلة أمامه تسمع ما قاله)

فيستحي مما تكلم به في أهلها)

يا حسن ! معذرة فأهلك نا لهم الملام وما جنوا ذنبا
حاولت عتبههم بتوءدة لكنني لم أحسن العتبا
ورضاك همي في الحياة ؛ فإن ترضى رأيت عذابها عذبا !
وإذا غضبت غضبت في بصري فأرى الخليفة كلها غضبي !
(ينتبه من ذهوله إلى أنه بحضرة أخته الحنون)

زهراء خليني لأرحل عن هذي الديار فأسلو الحببا
فلقد لقيت به دواهي له رُعنَ الجبال تركتها تربا
هيهات هيهات السلو ! ويا ليت السلو يُباع أو يُجى !
أفكلما سَفَرَ اللقاء أتى آتٍ فسُدَّ دونه الحجبا !
أو كلما انتسم الربيع لنا جرت الدبور وهبت النكبا ؟
(آسفة على أن هيجت أخاها مشفقة عليه)

زهراء

عفوا هُمام فليس قصدي أن أهيجك يا ابن أمي !
لكن شجاني أن تفارقنا وتركب ظهر يَمِّ
إنَّ البلاد لسوف تَفُـمُـ قد فيك نجما أيَّ نجم
نجمٌ يفيض هدايةً وسناه من خلق وعِـم
تُبـا للهر دأبه يرمي أفاضله فيصمى
أيصدُّ مثلك عن مطا لبه ويُمتع كل فدم ؟
أهـمام إن كنت اعترمت على الرحيل فخير عزم
إذهب وعُدَّ عما قريب ب بين عافية وغنم
سليكون ربك حافظا لك في الفلاة وفي الخضم
ولسوف تدرك ما تؤمـلُ ما ظلمت إليه ترمي
ثقي بحسن أن تُعيد ك خففت حزني وهمي

همام

: (في حزن وأسف)

لكنَّ حُسْنًا لم تشأ تنوير خطبي الملهم
 كم قد كتبتُ لها الرسا تل بين منشور ونظم
 فتصدَّ عنها لا تجيب كأنها لا تعرف اسمي !!
 وطلبتُ منديلًا لها ليكون في الظلمات نجمي
 ويكون أنسي في البعا د يكفُّ من حزني وغمي
 آوي إليه إذا نزا قلبي بضم أو بلثم !
 ولقد أتاني ردها لكن تعثر فيه فهمي
 وإليكم فاتليه ثم اقضي على حُسن بحكم
 (يناورها رسالته إلى حسن وعلى ظهرها الرد منها)

الرسالة :

حبيبة قلبي علليني بتنوير
 أقضُ زمانِي في رجاء وتأميل
 بعثتُ إليك الكتب ترى ، فلم أفر
 ببعض جوابٍ منك يا غاية السؤل
 كأني لم أحمل هواك ، ولم يكن
 لقاءك قصدي في الحياة ومأمولي !!
 وهذي النوى قد أوشكت أن تميل بي
 إلى عالم من رقعة الأرض مجهول
 أقضي به دهرًا قضيتهم به على
 حُشاشة صبَّ عائر الجدِّ مخدول

- ٦٤ -

فجودي بما أملتُ منك وأجملني
وداعاً لمفتون بـجُـبـك متبول
وإني لراضٍ منك يا حُسنُ باللفا
بقطعة ثوب أو بشقة منديل ،
لعلي أسطِيع أنزاداً من الجوى
بضمي إياه لصدري وتقيلي ؟
همام

الرد

جوابك عندي ما تظنُّ ، فلا ترم
بكُتُبك إخراجي فإنك ذو علم
وإني فتاة ليس أمري في يدي
فإن شئتَ فاطلب ما تؤمل من أمي
حُسن

زهراء : (تلتفت إلى همام والكتاب لا يزال في يدها)

همام أمّا جوابُ حُسنٍ	فإنه أبلغُ الجواب
دلّ على الحبِّ والتفاني	فيك إلى عِفّة الجباب
وإنها إن تحبّ يوماً	ففي حمى الصّون والحجاب
إن كتاباً يأتيك منها	رسولُ أمالك العذاب
ما تبتغي أنتَ فوق هذا	يأتيك من غادة كعاب ؟
لولا هوئى صادقٌ لديها	لم تر منها نصف كتاب
وسوف أتيك بالذي رمّ	تَه فلا تبق في اكتساب

المشهد الثاني

(همام على حماره في طريقه إلى الساحل (المكلا) بعد
أن شيعه إخوانه وأصدقائه . أمامه دليله البدري عامر يقود
جملًا له يحمل زادهما)

همام	: رويدًا رويدًا حِمَار البعادر ولم يك خطوؤك فوق الترى أراك كنتعشٍ بجسمي يسيرُ فيا بعد (سَيُوون) عني؟ ويا عليها السلام سلامُ الوداد سلام على حسن بين العذارى سلام على دارها في الديار سلام على أهلها الطيبين سلام على وطنٍ طاهر سلام سلام على ساعدي الـ سلام على خيرة الأصدقاء سلام على لطف زهراء إذ	فإنك تبعُدُ بي عن حيبي ! ولكنه فوق قلبي الكيب ! ولكن إلى غير قبرٍ قريب !! ذُنُوكِ (جاوَةٌ) من ذي السُّهوب ! ع، سلامُ البكاء ، سلامُ التحيب سلام على قلبها في القلوب ! سلام على دربها في الدروب ؟ من كلِّ برٍّ كريمٍ نجيب تضوُّع منها بمسكٍ وطيب أشدُّ وصنوى المطيع الأديب ء محمدٍ الألعبي الأريب تفرِّج همي ، وإذ تعني بي !
------	--	--

(همام في بلاد الأحقاف)

(يخرج المندبل من جبيه فيضمه إليه ويقبله)

أتعلم يا مندبل أنك مؤنسي وأنت بكفه
وما ضرر من ينأى - وأنت بكفه
وأنت عندى للكريم المحبب
أنيس نواه - أنه يتغرب

(يمر على آثار مزارع قديمة مندرسة يتمهل في السير قليلا
يتأمل في تلك الآثار) .

انظر إلى هذي السهول فقد
كانت مزارع ما لها حد
كانت جنانا لا فجاء بها
- غير الممر لراكب - تبدو (١)
من عنوة الوادي القصي إلى الـ
أهضام من حذراره تمتد
عمر الجؤود بها مواطنهم
فغنوا وعيشهم بها رغد
ما بعد عام الألف ما قذمت
منه العهود وما بها بغد
لما تحف بها مواطىء أقد
لدام الألى اشتغلوا بها بعد
البئر والسمراء ، والذرة الـ
والنخل والأعناب حافلة
والسدر يفرش في الفضا بسطا
فهنالك النعماء تخطر ما
للهم عيشهم فلا كدر
من سننلس حضرا فينسد
دع عهدا العادي من قديم
بين الحقول يزنها البرد
فلقد تقادم ذلك العهد
إذ كانت الأنهار جارية
يقتطوفهن كأنها شهد !
تحت الجنان كأنها الخلد !

(١) الفجاء جميع فجوة . ورد في الرحلة المتوكلية وصف حضرموت على عهده
حوالي سنة ١٠٦٠ أنها كانت بساتين ممتدة من حضرموت إلى المسفلة لا فجوة بها
بحالية من الأشجار والزرورع إلا مقدار ما يمر الراكب .

تلك الحقائق لا يُصدقها قوم عيون قلوبهم رمد
تلكم بقاباها تدلُّ على ما كان - سدُّ دونه سد !
يحتاز ماء القطر يقسمه بين الأراضي حكمها القصد
فنمت مزارعها فما فُتت فيها الغيوت تروح أو تغدو
هي سنة الباري فما كثر الـ أشجار فالأمطار تشتد

* * *

قف سائل الآثار كيف ذوت تلك الخمائل فهي ذي جُرد
تحريك إن نطق : ورثتما نطق الجماد وقوله الرشد
في بطن أرض أنت واطنهما هم تصول فليس ترتد
تصبو إلى العمل المفيد ترى أن السعادة ركنها الجِدُّ
فتلاهم خلف كأنهم لا ساعد لهم ولا زند !
فَسَيِّلُنَا ترديدنا أبدًا : نعم الجلود وبست الولد !!

* * *

المشهد الثالث

في منتصف الطريق على مقربة من الريدة (بلاد البدو)
(همام يلتفت - وقد كادت الشمس تغرب - إلى بدوية عامر)

همام : سر يا أبا البدو وحِثِّ جملك لا يُظلم الليلُ ويشتدَّ الحلك
ونحنُ لمّا نأت بعدُ منزلَك أبلغك اللهُ بخيرِ ما ملك
ولا أصابَ الحبُّ يوماً مقتلك

عامر : هُمام يا خير سَراة العُرب لا تذكر الحبَّ إيمان صبَّ
متى دعا داعي الهوى يُلبَّ إني أحسُّ ضرماً في القلب
يدفع في صدري ويكوي جني !!

همام : بالله هل تُعرف معنى الحب؟ وما به من فرح وكرب
وهل سَعِدْتَ مرةً بالقرب أم أنت مثلي مستطار اللبَّ
لَمّا يُفُزُّ من حوضه بشرب

عامر : أنتَ إذن يا صاحبي سعيدٌ وإني وحدي أنا المعمود
من بعد ما طابَ لي الورود حلاتي عن حَوْضِها الصُّدود
فليسَ لي صَبْرٌ ولا مَجْلود

همام : أنت السَّعيد وأنا المنكودُ فالوصل مهما قلّ فهو عيدُ
تُشفي به من دائها الكُبود لكنَّ هجري الأبدُ الأبيدُ

عامر : لَيْتَ الزَّمَانِ لِي بِهِ يَجُودُ وَبَعْدَهُ تَطْوِينُ اللَّحُودِ !!
يُظْهِرُ لِي مِنْ بَعْضِ مَا أَرَاكَ أَنْكَ تَهَوَّاهَا كَمَا تَهَوَّاكَ
يَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ وَجُودِي ذَاكَ إِذْنُ لَكُنْتُ حَامِدًا مَوْلَاكَ
وَمَا شَكُوتُ مِثْلَ مُشْتَكَاكَ

همام : عَامِرُ مَا زَادَنِي ارْتِبَاكَ أَنَا اشْتَرَكْنَا فِي الْهَوَى اشْتَرَاكَ
أَشْكُو نَوَاهَا وَهِيَ تَشْكُو ذَاكَ فَسْتَهْلُ مَدْمَعِي اشْتَبَاكَ
لَمَّا بَلَّاهَا وَبَلَّا أَخَاكَ

عامر : (فِي حَزْنٍ)
لَا تَحْسَبَنَّ هَجَرَهَا هَجْرَ شَرَفٍ لِفِرْطِ غَنَجٍ أَوْ دَلَالٍ أَوْ ظَرْفٍ
لَكِنَّهُ أَشْنَعُ ذَنْبٍ يُقْتَرَفُ تَتْرَكُنِي زَوْجًا إِلَى غَيْرِي تَرْفٍ
وَصَلِّ عَقْدِهَا مَعِي لَمَّا يَجِفُّ

همام : رَبَّاهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ذُو شَغَفٍ يُسَلِّمُهُ الْحُبُّ إِلَى مَهْوَى التَّلَفِ
رَحْمَاكَ بِالْعِشَاقِ مِنْ جُورِ الْهَيْفِ مَا غَارَ مِنْ غُورٍ وَلَمْ يَعْلَ شَرَفٍ
إِلَّا وَفِيهِ مَغْرَمُ الْقَلْبِ دَرْفٍ

المشهد الرابع

(يصلان إلى حي عامر في الريدة (بلاد البدو) . يذهب
عامر لسقي جملة وإراحتة ويسلم هماما لأخته ناهية)

ناهية : (منتقبة لا يرى منها إلا عيناها)

أهلاً بمن وافى دار أخي عامر
إنزل على الرحب في المنزل العامر
وأمر عما شئت فإنك الأمر
(تهى أدوات القهوة وتباشر إصلاحها)

همام : بورك يا أخت فيك وفي عامر
سررتما عني بلبالي الثائر
سماحة البادي يجهلها الحاضر

ناهية : (منادية)

هلم يا سعدى هلم يا لبنى !
لنلم حيين ضيف أحيكنا
(تدخل فتاتان جميلتان متلصمتان وتصافحان هماما . ينظر
إلى إحدهما همام نظرة كالسهم . تلاحظ ناهية ذلك) .

ناهية : (لهمام)

إني أرى عينيك عيني شاعر قل ما تشاء ويك لا تحاذر
لا بأس عندنا بلحظ الناظر إنا نرى العفة في الضمائر

- ٧١ -

همام : رأيت بـدراً نصفه في السحب والنصف مبين
هـي عليها يا نسيم واكشفي ذاك الجبين !

(تضحك الفتيات وتقهقه ناهية)

ناهية : لو أزاحت لثامها لك ما أنت فاعل ؟
ولو انجحات السحائب ما أنت قائل ؟

همام : سأريها الغزال لو أن بـدراً يغـازل
وسـتـزوي روائعي في هواها القبائل

ناهية : همائم ! ما البدويـا ت عند غيد المـدائن ؟
الموقرات من التبر حاليـات المحاسن
كأنما أنت بالبـد و سـاخـر أو مـداهـن !!

همام : لا والذي فلق الحـب ، سره فيه كامن
لـفي المـهـى البدويـا ت معجزات المحاسن
لحـاظهن سـهام لها القلوب . كنائن
قدودهن رماح في كل قلب طواعن
جـمـالهن الطبعي زاخر بالملقـاتن

ألم تسمعي ما قال شاعر يعرب أبو الطيب السامي على كل شاعر
تخامي حسان الحضرة في الشعر ناسباً بما في البوادي من مهّي وجاذر
ما أوجه الحضرة المستحسنات به كأوجه البدويات الرعايب
(حسن الحضرة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب)
(يدخل عامر)

عامر : يا مرجباً بهمام النذب أنزل على سعة على رحب !
هل تشركوني في حديثكم فلعلكم تجلوّن من كربى

ناهية : ضيفك يهوى البدويات ولا يحب الحضريات

عامر : أتحيهن همام ؟ إنك شاعرٌ ماذا تعشق في ظباء البادية ؟

همام : أهوى بساطتها وأهوى دها ولحاظها مثل السهام الماضية
وتميلني سكرًا طوال قنودها وتشوقي منها الخلال العالیه

عامر : إن كنت تعشقها فخذ لُبني (مشيراً إلى لبنى)
وخذ إن شئت سَعدي (مشيراً إليها)
(مشيراً إلى ناهية) أو فخذ لك ناهية

(يضحك الجميع ويضج المجلس بالضحك)
ناهية : أما أنا فلا أحبُّ شاعراً يَلْفِظُني عُمرًا ويهواني رطب

يُطالع الغيدَ الحِسانَ دهرَه فكلما أبصرَ حسناءَ نسب

همام : إني لأدري من طباع الغيد ما يُبين لي من قولك المشتبها
لا شيء كالشاعر أحظى عندها وإن تكن تكرهه زوجًا لها

عامر : بأيّ شيء يُفضلُ الشاعر يا همام عند الغانيات من عداه ؟

همام : لقبلّة واحدة من شاعر أحلى وأشفى من ألوف من سواه
يودّعها مُهجته فيرتوي منها الهوى . وينقع الحب صداه
يطمئئها على الجبين ذاكرًا كل خليل في الزمان وهواه !
كأنما يجمع تاريخَ الهوى بقبلّة الخلدّين أو لثم الشفاه

(ينتفض النفاضة فجائية كأنما تذكر أمرًا عظيمًا . ويبقى
ساعة في ذهول)

أستغفر الحب لقد أشركتُ في عبادتِه
ماذا أقول لحبيبي خُنتِه في غيتِه ؟
أيدّعي هواه من يُخفّره في ذمتِه

* * *

كأنني بالحب يلو نبي بسوط نِقمتِه
ألحدتُ في توحيدِه لم أخشَ من عقوبتِه
أكلّمًا لاح جمال همت في صباهتِه ؟

- ٧٤ -

ناهية : عامر ! ما للضيف لجُ غارقاً في غشـيته ؟
إنني أخاف أن يصا ب في الحمى بميته

عامر : دعيه ! خليـه ! فإني عارف بمحتـه
سينجلي عنه الذي أصابه من سكرته

همام : (باقياً في ذهوله غير منتبه لما بين يديه مستطرذاً في حديثه)
يا حسن ! لا تعاقبي عـدك في جرمتـه
فقد أتاك تأبُّباً من ذنبه وهفوتـه
ما كان إلا عابداً حُسنك في قداسـته
يشهده في كل وجـ زاهر بفتتـه
في طلعة البدر ، وفي الطـي وحُسن لفتتـه
وفي زهور الـروض في ريعـه ونضرتـه
وفي وجوه الغيد شيء من ضياء عُرتـه
يختلف الحراب والـر ب بوحدانيـته

(يدار بعامر ويغشى عليه . ترتاع أخواته وتأخذن في
تنبيهه برش الماء عليه)

- ٧٥ -

- ناهية : عامر !
- عامر : ها !
- سعدى : عامر !
- عامر : ها !
- لبنى : عامر !
- ناهية : قم يا عامر !
- همام
- همام : (مفقاً من ذهوله)
- ما لعامر ؟ هل نـ مام ؟
- ناهية : (لنفسها) يهذي الآخر !
- (ثم لهما) أما تراه ساقطاً مغمى عليه يا همام ؟
- روعتما قلوبنا الليلة في هذا الظلام ؟
- همام : لا تخافي سوءاً على عامر إنني لأدري بما يعانيه عامر
- أسمعيه اسم زوجته يصح من إغمائه
- ناهية : إنها لزوج غادر !
- همام : إن تكن غادراً فإن هواها لج في نفس عامر والشرائر !
- ناهية : إنه قد سلا هواها ؛ أيها ها وقد آثرت عليه ابن جابر ؟
- همام : صدقيني بأنه ما سلاها إنني عارف له وخامر
- ناهية : غصن ! يا غصن !

- عامر : (يمسح جبينه)
 أين غصنُ أجاءت ؟ مرحبًا مرحبًا بأكرم زائر !!
 راجعيني يا منية القلب بالله فإني لما جئت لغافر !
 (بصوت منخفض)
 أو فخافي من عامر فسرديـك - على رغم أنفه - وابن كاسر
 (يجلس فلا يرى إلا همامًا وأخواته)
 أين غصنُ أئمت جهة المخدع ؟
 ناهية : يا عامر اتبه يا عامر !!
 لم تجئنا غصن ودع عنك غصنًا إنَّ في حينًا مئات الحرائر !
- همام : (لعامر)
 عامر قم بنا نصل فرضنا
 (يلتفت للنسوة)
 وقمن أنتن فهينن الوضوء
 وقمن صلين جميعًا خلفنا
 ناهية : ويحك هل على النساء مفترض ؟
 لا نعرف الصلاة هل تريدنا مثل الرجال للصلاة نهض ؟
 حسب الفتاة عندنا استقامة بأن تصوم الشهر إذ ترمض
- عامر : حتى الرجال بعضهم يصلي
 وكنت فيما مرّ من أيامي
 فأخشى من الخمس على أنعامي
 فإن غضبت مرة على جمل
 رميته بركعتين فاحتمل !

حتى علمتُ بعد ذاك أنه وهمٌ فأقسمت لأتركه
ومنذ ذاك ما تركت الخمسا وما رزمت بكرةً أو عنسا

همام : رباه هل تبلغ دعوة النبي إلى ربي الصين وأقصى المغرب
وتخطي الدعوة أرض العرب؟؟

عامر : همام ليس الذنب للأعراب الذنب ذنب قارئ الكتاب
من ساكني الحضر ذوي الألباب إذ لم يثبوا دعوة الوهاب
في البدو أهل الجهل والغلاب وعطلوا بأوهن الأسباب
وصية النبي والأصحاب

همام : (في أسف وحزن)
شغلتهم قبابهم والقبورُ أن يقوموا بدعوة أو يسيروا
حسبوها في نسكهم كل شيء فعلام الإدلاج والتهجير ؟
كل (شيخ) و(سيد) عنده قبر إليه التيسير والتعسير !
وإليه اللجا وفيه المرجى وعليه التكلان وهو المحيرُ
كاشف الضرِّ إن أُصيبوا بسوء فإليه ابتغالهم والحضور
وإذا ما ابتغوا قضاء مرام فإليه قربانهم والنور
كيف ترجى هداية البدو منهم وهم عن سنا الهداية عور ؟
إن حسب البداة أن يستظلوا في حمى دجلهم وأن يستجروا
ويكونوا على هواهم نزولا بيديهم شئونهم والأمور
حسب ذلك الخضوع يُضحوا سُعداء وذنبيهم مغفور

- ٧٨ -

آه لو هُذِبَ البدأُ لأُمسوا وبهم للأتام خير كثير
ولكنوا عن قتل بعضهم البعض وقطع السبيل وهو كبير
ولساد الأمان وانبسط الخير وزال الشقا وعم السرور

* * *

المشهد الخامس

(تشرق الشمس ويقوم عامر يشد جملة وهمام يشد

حماره يتهيأ للسفر)

همام : (راكباً على حماره وعامر يحث جملة)

عامر ما كان حديث البارحة ؟ سوء ختام بعد حسن فاتحة

عامر : أنت الذي شُيِّبَ بالتذكار ناراً بقلبي يا لها من نار !

همام : كيف أنطرحت ساقطاً مغمى عليك ؟

عامر : كيف هذيت والنسا بين يديك

همام : لا . ما هذيت ...

عامر : وأنا لم أنطرح وإنما قلت لجسمي استرح !!

أواه ! لو لم تكن اليوم معي لكان لي شأن مع الخب الدعي !

همام : يا عامر اتخذ وخل الطيشا فقتلك النفس يُمرُّ العيشا
دعها وما اختارت وخذ سواها فأبلغ النفس بها منها

عامر : همام هبها لك هل تقوى على أن تلزم الصبر على هذا البلا ؟
لا والنبي المصطفى المختار !

همام : ويحك ! لا تحلف بغير الباري
فإنه نوع من الإشراك بخالق الأكوان والأفلاك
وقد نهانا عنه سيد البشر أليس في قول الرسول مزدجر ؟

عامر : أقسمت بالله ورب البيت ورازق الحي ومحيي الميت
لأسقين النخل موتاً أحبوا وأروين من دمائه الثرى
وأفتكن بعده بالفاجره ألقفها قبلي لدار الآخرة !

همام : يا عجباً تقتلها وترتقب بعد لقاءها بدار المنقلب ؟

عامر : إني أحبها ، ولولا حبها لكان مني الطلاق حسبها
تأبى عليّ غيرتي عليها تركي سواي أويأ إليها
يرغم أنفي أن أسومها الردى وبعدها سوف أموت كمداً !

همام : ألا تخاف غضب الرحمن في قتلك الأنفس بالطغيان ؟

- ٨٠ -

عامر : من ذا يخاف الله بعد اليوما ؟ قد ذهب الناس فخل اللوما
أنت تقول الحلف بالنبي محرم في شرعه السوي
فانظر إلى الأنام هل تورعوا عنه بنهي المصطفى وامتنعوا ؟
أما تراهم يلهجون بالقسم جهلاً بكل رمة من الرمم ؟
يرون إيلاءً بعد الله أعظم من إيلائهم بالله

همام : ما أنت والناس ، عليك نفسك فليس من يدخل منهم رمسك
أعزز علي أن أراك عاقلاً منور الفكر وتغلبو قاتلاً

عامر : همام إنني شاكر وداك ونصحك المحوض واجتهادك
فإن أطق الكف عن ضلالي فالفضل للنصح النفيس الغالي
وإن تغلب الشقا عليه فلست إلا من بني غزّيه !

* * *

الفصل الرابع

المشهد الأول

« همام - خارج باب مدينة الشجر ساحل حضرموت
عائدًا إلى سيون - بعد أن قضى عامين ببلاد جاوا - راكبًا
على حماره ومعه دليله النجاف حاملاً فوق ظهره رزمة من
الكتب في غلاف من الشمع المتين » .

همام	: أسرع السير يا دليل !	أسرع السير يا دليل !
	إن بي ظمأة لما	ء سيون سلسبيل
	بُلّ مني صدى الجوى	وأشف من جوفي الغليل
	ليت شعري - وكادت النفـ	س من يأسها تسيل
	ومضت أربع طوالـ	- وعمر النوى طويل -
	في انتظاري - والانتظا	ر لأهل الهوى قتول
	أترى الوصول لي متا	ح أم الوصول مستحيل ؟
	ألذا ما دنوتُ ميلا	تباعدتُ ألف ميل ؟
	قسماً بالحبيب ! - أستغـ	فر الله ! - بالجليل
	لا أرى الوصول ممكناً	أو أرى وجهه الجميل
	وأراه بعين رأسي	بلا حائل يحول !
	وأحسّ اليمين في	فرعه مرة تحول !

ضاق صدري ، وعيل صب
وتساهى بيّ الجوى
وتداعت أضالعي
واستحالت قريحتي
أتهادى كشـارب
جـاحم في جـوالمحي
كلما قلت : ذاب قلبي
رجّ صدري خفوقه
فحنانيك لا تلم !
ليت شعري هل لي إلى
فأماننيّ أو شـكت
أخفلي وحدي أنا الحد
أسرع السير يا دليل
سري وضلت بي السبل !!
وبرى جسمي النحول
من نشيج ومن عويل
من ذكاء إلى ذحول
أوهنت ساقه الشمول !
يتلفى بلا فتيل
وغالته منه غول
فتوقعت أن يميل !!
أو فلم أهب العنول
ما تمنيت له وصول ؟
أن يموت من الذبول
ب والخصب في الحقول ؟
أسرع السير يا دليل !

النجاب : يا أخا الخضر هل ترى :
رجلاً سيره ثقیل ؟
لست أحتاج أن تقول :
أسرع السير يا دليل
لي من النفس سائق
ينهب الحزن والسهول
أختشي أن يفوتني
« نصر » نجاب (باعقل)
(يصمت قليلاً ثم يقول)

أين نصر مني ؟ وأين
من المضمهر الهزيل ؟
أنا سري منظّم
ولا بطيء ولا عـجول
وهو يشتد في الذمـ
ل فيعتاقه الذميل

أنا غول القفار وابـ من الدياميم والهحول
 لا أبالي إذا مشيتُ أذى الشمس والوحول
 : همام ما لتجارنا عباديد شتى يتبارون بغضة وحقودا
 كثروا عدة وقلّوا غناء وأضاعوا بالافتراق الجهودا
 وغدوا كل واحد يريد ما لهم لا يوحدون اليريدا ؟
 فيطيقوا إرساله كل أسبو ع ويجروا به نظاما سديدا
 إن في طوفهم لو اتفقوا أن ينشثوا السفن في البحار عديدا
 وبها يستغنون عن سفن لأجـ سب يصلبهم العذاب الشديدا
 ولقد كان للحضارم في البحر سرفين أيام كانوا أسودا
 جاريات من الخليج لبحر الـ هند حتى (أندونيسيا) لتعودا
 داؤنا أننا نحيب جماعات وقد ندرك النجاح فرودا
 أسرع السير يا دليل ! أسرع السير يا دليل !
 واصل السير لا مبيت - إذا شئت - أو مقيل
 : النجائب (متهكما)

أسرع السير يا دليل أسرع السير يا دليل
 هل تراني طيارة هل تراني أوتومبيل ؟؟
 (يشير بيده إلى طريق السيارات التي بدى بإصلاحها بحضر موت
 بين الساحل والداخل حيث يرى العمال يشتغلون بتعييدها)
 دونك انظر طريقه ! فتتهلى عما قليل
 : همام ليته قد مشى فأو صلي الليلة (السحيل)^(١)

(١) الجانب الغربي من سيون .

- النجاب : لا رعى الله عهدَه
 إنه عهد عزريئيل
 لا تقدره يا إلهي
 وعسّر له السبيل !
 وإذا تمّ فأنزلهُ
 بأذى البدو والقييل !
 وإذا ما مشى فلا
 فارق الوحل والسيول !
 همام : قل لي لأية علة
 أبغضت خلقاً من حديد ؟
 ماذا جناه عليك حنـ
 نى خلته الخصم العنيد ؟
 النجاب : هو قاطع رزقي القليل
 من كل جمال وحمـ
 ل غداً وأرزاق العديد
 من كل جمال وحمـ
 أتريدني كالخضر إذ
 حالوه مفتاح السعود ؟
 وبشير آمال النهو
 ض وفجر أيام الصعود
 تجسوا وخاب رجاؤهم
 وتعثرت بهم الجلود !!
 همام : (لنفسه)
 فهم الفتى البدوي ما
 لم يفهم الناس الرشيد
 (ثم للنجاب)
 حييت من فطين فدا
 ما قلته كاف ليثمـ
 ووراء ذاك سوام أبرص
 تنفث السم المبيد
 سئل المالك والشعو
 ب وهبضة العصر الجديد
 من كل لص قاتل
 للمال والخلق الحميد
 لكن ظلم الناس بعـ
 ضهم لبعضهم عتيد !
 ليعيش فرد واحد
 لا بأس من شعب يبيد !!
 ولسوف يجنون النـ
 دة منه والأسف الشديد !

المشهد الثاني

« منبسط من الأرض فسيح يرى في آخره من جانب
الوادي مدينة « سيوون » على بعد بحيث لا يتبين الناظر إليها
إلا بياض منائرهما وأبنيتها العالية مخوفة بهالة عظيمة من خضرة
النخيل المحيطة بها من نواحيها » .

همام : أهذه سيوون أم جنة عدن أزلفت للمتقين
للله ما أجملها منظرها الزاهي يسر الناظرين
تحسبها - من بُعد - حديقة خضراء تسقى من معين
قد نثرت في تربها جناهد اللؤلؤ والدر الثمين !
تفوح في أرجائها روائح الورد وعرف الياسمين
يحنو عليها جبل كما تضم طفلها الأم الحنون !
تضرب في أجوائها منائر تخفى مراراً وتبين
كأنها أعمدة قامت عليهن السماوات المنون
تجعلها الرياح في تلعبها أهدافها إذ ينيرين
أو كقرون حامل الـ أرض على قرنيه فيما يزعمون
أثقله آثامها فمرقت من جوفها تلك القرون
قيابها زاهية لو لم يكن حرمها أسمح دين

(همام في بلاد الأحقاف)

هَلَمْ بَعْضُهَا (بنو الـ) تَوَحِيدٍ) فِيمَا قَدْ خَلَا مِنْ السَّنِينِ
فَهِيَ تَرَى كَأَنَّهَا بِيضُ نَعَامٍ أَجْفَلْتُ مِنْ صَائِدِينَ
رَبِيعَتِ فِدَاسَتِ بَعْضُهُ فَهُوَ عَلَى الْأَرْضِ فَلِيقٌ وَطَحِينِ

* * *

لَمَنْ يَكُنْ مِنْظَرُهَا وَحُسْنُهَا الزَّاهِي مَتَاعَ الْمُبْصِرِينَ
فَإِنْ فِي مَخْبَرِهَا خَيْرُ مَتَاعٍ لِقُلُوبِ النَّازِلِينَ
تَفَرَّدَتْ جِسْمَانَهَا بِالظَّرْفِ وَاللِّينِ إِلَى خُلُقٍ مَتِينِ
وَرَقَّةٍ كَأَنَّهَا نَسِيبُ (عَبَّاسٍ) أَرْقَنَةِ اللَّحُونِ
كَأَنَّمَا أَنْتِ إِذَا جُزْتَ بِهَا تَخْطُرُ مَا بَيْنَ الْغُصُونِ
إِيَّاكَ مِنْ لِحَاطِهَا إِيَّاكَ أَنْ تَصْرَعَ مِنْ سِحْرِ الْجَفُونِ

يَتَهَدَّى

كَأَنَّ (حَسَنًا) أَفْرَغْتَ عَلَى رَبَاهَا مِنْ جَمَالِهَا الْمُبِينِ
نَضَارَةَ كَخَلِّهَا تَعَبٌ حَتَّى تَرْتَوِي فِيهَا الْعَيُونَ
وَرَقَّةٍ فِي جَوْهَا كَمَا تَنْدِي خَجَلًا مِنْهَا الْجَبِينِ
فِي مَائِهَا حَلَاوَةٌ مِنْ رِيْقِ حَسَنِ مَا لَمْ يَمُورِ الْأَنْدَرِينَ؟
وَفِي غِيَا شَمْسِهَا مَلَا حَةً مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ الْحُسَيْنِ
وَفِي قُدُودِ نَخْلِهَا مِنْ قَدْ حُسْنِ هَيْفٍ بِهِ تَزِينِ
صِبَاحِهَا الْفُضَّةُ قَدْ سَالَتْ عَلَى زَمْرَدٍ مِنَ الْغُصُونِ
وَذَهَبٌ أَصِيلُهَا يَبْتَغِي الْأَنْسَ وَيَهْتَاجُ الشَّحُونَ
مِنْ نَحْرِهَا وَثَغْرِهَا وَوَجْهَتَيْهَا سَرَقَا تِلْكَ الْفَتُونَ
وَلِيلِهَا مُعْتَبِرٌ كَفَرَعَهَا فِي عَرَفِهِ وَفِي الدُّجُونِ

مدينة شبيها في حضرموت وسواها لا يكون
(يتأوه)

لولا توانى أهلها لقلت هذه جزاء العاملين
ليس لديهم عمل إلا قضاء الوقت في لهو مشين
يشقون في غربتهم بالجمع للمال وهم مقتصدون
حتى إذا ما وصلوا إلى بلادهم إذا هم يسرفون
كأنهم قياصر يلدنون المال لا يكثرثون
ولا يفكثرون في خدمتها بالزر مما يجمعون
ولا يزالون في غربتهم صناعة أو مخلقون
لينفعلوا أو طانهم بها إذا عادوا إليها راجعين

* * *

المشهد الثالث

(همام في مكتبه وعنده صديقه محمد يزوره زيارة
خصوصية بمناسبة قرب زواج همام)

همام :	محمد
محمد :	لييك !
همام :	ماذا ورا ءك من خير ؟
محمد :	ليس عندي خير

سوى أن قلبي مستبشر
وأنتك سوف ترى من تحب
بنيل المنى وبلوغ الوطر
قريباً وينزاح عنك الكدر

همام : أخي أنا في مربة بعد في
فقد درجت في انتظاري السنو
لقاء حبيب فؤادي الأغر
ن وما بل من ظمأي المستعر
إذا وعدوني جمادى اللقا
ء تلاشت جماداهم في صفر

محمد : همام زمان المطال انقضى
أفغري بقلبك برح الشكو
وهذا أو أن الوصال ابتدر
ك والوصل بعد غدٍ متظر ؟
وهذي بيوتك قد زينت
وأهلوك في نشوات الحبر
وأكدت أمس على المطرب
ن- على رغم أنف الذي قد خطر -
بأن يحضرونا مساء الزفاف
وصبح الدخول وليل السمر

همام : سلمت وهل رضي المطربو
ن بذلك ؟
محمد :

همام : همام
نحشوا المانعين لهم أولاً
ومنعهم الناس أن يطربوا
فداويت بالمال ذاك الحذر
كما يطربون . دليل البطر
وليس بذلك لهم حجة
سوى كبريائهم والأشر
محمد : لا أبتغي المطربين
على أنني لك ممن شكر
لئلا يقال : لحظ هوا
ه دعا للمساواة بين البشر
وإن سروري بالوصل لا
عن نقر الدف أو من زمر
ولكن سيزدان بالمطربين
زواجك ! هلاً به تفكر !!

صديقي إلى مَ تحام الغرام ؟ إلى مَ فؤادك مثل الحجر ؟
إلى مَ أراك وحيد الظلام وحيد المقلب ، وحيد البكر ؟
: همام رويدك !

محمد

« يبتدره البكاء فيعوقه عن إتمام كلمته » .

:(لنفسه) وپلا مال صديقِ آدمعه ٲٲدر ؟
 آشق عليه كلامي ؟

همام

محمد — د زلت لسانی آیا تغیر؟
(ثم محمد)
: (لنفسه)

محمد

إلهي أبحثُ بسر الهوى وكنت على كتمه أضطرب؟

: صديقى اتحسب أنك سؤ ت فؤادي ودايك لي أن تسر

ثم طمام

أملك يرحمني قوله ؟ فتلك لعمرى إحدى الكبر

ويا ابن الأكارم ماذا جنيثَ حتى تنصل أو تغلر؟

همام کتمنک جُهدی الهوی ولكن أبی الحب أن یستتر

همام أنعهد مني البكاء همام أنعرف في الخور ١٩

وكنتم ألوكم فيما مضى فيا ليتني كنت فيمن عذر!

وأعجب كيف تصول الظبا ءُ على الأسد؟ حتى رماني القبرا!

: محمد ! لا تجبسن الدموع ودعها على رسلها تنهمر !

همام

فإن القلوب إذا أجذبت بحزن فإن الدموع المطر!

وقل لصديقك أيُّ الطبّا ءرماك وصرّح له بالخبر

فَمَا فِي الصَّبَابَةِ عَارٌ عَلَى فَتَى طَاهِرِ الذَّيْلِ عَفْءُ الْأُزْرِ

محمد

: (يكفكف من دموعه)

همام أتذكر « علوية » نصيرتنا في الجهاد العسير ؟
 سلبية طه ، فتاة الحجى ، مِثَالُ الكمال مثال الطُّهْر
 أتنتى يوماً على حالة تذيب القلوب وتجري العَبر
 محمد ! هذا أوانُ الغياث وهذا أوانُ تلافي الخطر
 مضتُ ليلتان وما عندنا من القوت شيء به نعتصر
 وأخيت غارقة في السَّقا م وإنِّي لأحسبها تحضر
 وزوجة عمي في طَلَقها تعاني المتاعب والوقت قُر
 وعمي سافر منذ شهو ر فلا عاش مضطَّره للسفر
 وكان لدينا بحاثوته يعيش ويتجر فيمن تجر
 فشنع إخوانه بل عِدهاء عليه ، وقالوا : ليم قليل
 يُدنس أحسابنا إذ يرو ح إلى السوق كالتس أو يتكرا
 فما أنهت القول حتى غدو ت ويوشيك قلبي أن ينفطر
 وأذهلها الحزن عن موقفي فلم تتحفظ ولم تستتر
 فأبصرتها من خلال الحجا ب كما لاح بين السحاب القمر
 رأيت الجمال ، رأيت الجلال رأيت الهوى والشباب النضرا
 وراحت تبت عليّ الثنا ء بما قد قضيت لها من وطرا
 وقد تركني سلب الفوا د قليل القرار ، كثير الفِكر
 أردد أقوالها في الضمير ترنُّ بأذني كصوت الوتر
 فهأنذا بعلمها يا همام قصير الرقاد طويل السهر
 رحمت فأسعفت ثم انتثيت وفي كبدي مثل وخز الإبر
 فلطفك يا رب فيما قضيت فلم يُنج مما قضيت الحذر !

همام : يا صديقي عندي إليك عتاب واطراح العتاب مني قبيح
أكذا تكتم الحوادث عني وما دونها إليك أبوح ١؟

محمد : يا خليلي إن كان ساءك فعلي فاعفُ عني، فأنت عني صفوح
إن عيب الهوى عليّ ثقیلٌ وبثيک سرّه أسریح
غير أنني كتمته عنك جهدي حذرًا أن ينالك التصریح
ولو أنني نظرتُ فيك لحظي يا خليلي للذلي التصريح

همام : خف عن ظهرك العناء لظهري فاسلُ عنه فإنه مطروح
إن ما أنت آملٌ سوف أغدو ساعيًا في تحقيقه وأروح
فدع الهم إنها سوف ترضا ك وحسب الملیح زوج ملیح
(لنفسه) : محمد

هو يدري بأن ما أتوخوا ه مُحال من الأمور طروح^(١)
فهو يغني بذلك تخفيف حزني إنني بالأسى إذاً لن يبح

* * *

المشهد الرابع

(ساحة كبيرة أمام بيت العروس « حسن » فيما بعد منتصف الليل . يرى هناك جمهور من النساء يصطففن لزفها إلى بيت « همام » تتوسطهن « حسن » عليها غطاء لا ترى منه . تحيط بهن الوصائف بأيديهن الشموع تتقدمهن القينات المغنيات بأيديهن الدفوف وهن يتغنين بينما الجمهور يتحرك ويتجه - في سير بطيء - إلى جهة بيت همام).

القينات :	نحن نزف الشمس	والشمس في ضحاها
	فما أجل عرسا	يفمره سناها !
الجمهور :	نحن نزف الشمس	والشمس في ضحاها
	فما أجل عرسا	يفمره سناها
القينات :	نحن نرف الحيا	نحن نرف المني
	نحن نرف الضيا	نحن نرف السنا
الجمهور :	نحن نرف الشمس

القينات :	يا عصابة الغواني	هلم للتطريب !
	اشدون بالأغاني	واهتفن بالنسيب
	واضمذن بالأمانى	دوامي القلوب

- ٩٣ -

- الجمهور : نحن نرف الشمسسا
... ..
القينات : حيين بالسلام هذا الشعاع المسكوب !
وافضل ان بالانغام كل حزين منكوب
الجمهور : نحن نرف الشمسسا
... ..
القينات : روائح الجنان تعبق من هذي الثور
كأثمنا المغناني أمست مراقص الحور !
نحن نرف الشمسسا
... ..
القينات : نحن نرف الملك في صورة الإنسان
يجلو ظلام الحلك ويقشع الأحزان
فهل لديكم فلك بنوره يزدان ؟
الجمهور : نحن نرف الشمسسا
... ..
القينات : يا قمر السماء غص الجفون أغص
بالذكر والأسماء عوذت بدر الأرض
الجمهور : نحن نرف الشمسسا
... ..

(يقربون من بيت همام)

- القينات : سقن إلى همام جمال هذا النادي
واحلون للضرغام لباة هذا الوادي

الجمهور : نحن نرف الشمس

... ..

في الطابق العلوي من دار همام حيث تستقبل نسوة الدار
النسوة اللامي زفن « حسناً » . تنحاز نسوة الدار إلى جهة ،
ونسوة الزفاف إلى جهة أخرى والقينات في الوسط يضربن
بالدفوف .

القينات : الثمن والإقبال والسعد والسعادة

للمعرسين فال والفضل والزيادة

شاعرة نسوة الزفاف : نحن نرف الحسنا نحن نرف بلقيس !

ثم سائرهن : نحن نرف لُبسى فهل لديكم من قيس ؟

شاعرة نسوة الدار بجية : همامنا كالمأمون إن زفتم بوران

ثم سائرهن وهكذا في باقي الأبيات إلى آخرها

وإن تكُن بلقيسًا فإنه سليمان !!

نسوة الزفاف : النصر للعروسة !

نسوة الدار : بل هو للعروس !

نسوة الزفاف : للدرّة النفيسة

نسوة الدار : للجوهر النفيس !

نسوة الزفاف : للحُرّة المصونة وربة الجمال

للدرّة المكنونة واسطة اللاّلي !

نسوة الدار : لمفخر المدينة لسيد الرجال

نسوة الزفاف : الناس يعرفونه بكرّم الخلال

نسوة الزفاف : النور والشعاع ووهج الشموس

والجواهر اللّـمّاع	وحبّ الكـؤوس
جميعها أشـياع	لهذه العـروس
نسوة الدار	: أجد والكمال
	والقول والفـعال
	وحسب الأعراق
	جميعهــــن آل
نسوة الزفاف	: نحن نـزف الحسنـا
	نحن نـزف لبـنى
	فهل لديكم من قيس ؟
نسوة الدار	: هـمـانـا كـالـمـأمـون
	إن زفتم بـوران
	وإن تـكن بـلقـيسـا
القينات	: كـلا العـروسـين زـين
	فلا تـفـاضـلن بـين
	سـراجـي السـماء
	أين الجـرة أين
	أصـوغهـنّ لـذيـن
القينات ثم الجميع	: يا رب باركهما
	في ذا الزـواج السـعيد
	واجـعل زـمانـهما
	كأنه يـوم عـيد
	وانفـجـهما بـالوـلد
	مثل دراري النـجوم
	في ظل عيش رـغد
	وفي صفاء يـلـوم

(ستار)

الفصل الخامس

المشهد الأول

علوية : (على فراش المرض . حسن تعودها في بيتها) .

علوية : عُدَّتِي حُسْنُ؟ مرحباً بك يا أحد ست !
حسن : وقاكِ الإله ما تحذرينا !
علوية : ما الذي تشتكين ؟ نفسي فداء لك من كل علة تشتكيننا !
علوية : أقصري حُسْنُ أن تمنّي على ربك سوءاً لعله أن يكوننا
بل سلى الله لي الشفاء عسى أن يقبل الله منك ما تسألينا
أو سليه لي العزاء فإني لا أرى الداء تاركي أو أبينا
حسن ! إني أحسّ في الصدر ناراً تتلظى كأنّ فيه أتونا !
أشرب الكأس بعد أخرى من الماء فلا أرتوي كما ترتونا
أحسب الماء يستحيل يحوفي هباً في الحشى يمن أنينا
أنا لا أستطيع أن أدع الماء ، ولا الماء قادر أن يُعينا !
حسن : لا تخافي سوءاً فمثلك في العفّة والنبل ما نعى الودونا
تبذلين المعروف جهدك لنا س ، وتولين منهم المسكيننا
وتراعين للجوار حقوقنا وتواسين بئساً وحزينا
وتوالين من يحامي عن الحق وإن غاظ فعلك الأهلينا
فإله الورى سيرعاك ، لن يتـرك يوماً عباده المحسنينا

علوية

: قدك ؛ هذا جميلُ ظنك في أحد
 إن ربي بخلقه لللطيف
 غير أن العباد بعضهم يظن
 أنظريني هل بي سوى ظلم أهلي
 وتصديهم لما ليس يعني
 مات زوجي ووالدي فلم يُبق
 غير عمي - وأنت تدرين ما عم
 قد وهى جسمه ، وخارت قواه
 أجلسه إلى السفار ليجلسوا
 زعموا أن بيعه وشراه
 ثم إنني مكثت في عصمة الأيد
 لم يعني منهم لينخطب وذي
 وأبي عالم وجلي جبر
 ولعل المرأة تصدق عني
 : بل تعالى الذي براك ، وحلا
 سطعت أنوار النبوة فيه
 : وأتاني محمد وهو من بيت
 رجل بمأل الصلور كمألاً
 كان لي كلما تضايقت حالي
 وهو كفتي وكفاء أفضل مني
 فأتوا يزجروني عنه حيناً
 ما رأوا لي من قبل ذلك داراً

حسن

علوية

تلك ، لا يخيب الإله الظنونا
 يتولى عباده الصالحينا
 لم بعضاً ، عن ربهم ساهونا
 لي وأبناء عمي الأقرينا ؟
 هم ، وعن واجباتهم يعرضونا
 لي الدهر عاتلاً أو خدينا
 هي ؟ فقير يهازل الستينا
 وابتلاه السقام حيناً فحيناً
 عنهم العار ، هكذا يزعمونا
 يكسوان الأشراف في القطر هونا
 هم وفي رقة الزواج سنينا
 أحد غير فتية عاجزينا
 وأصولي أئمة متقون
 إن وجهي ما كان في الحسن دو
 كجمالاً يحير الناظرينا !
 فاستحالت مباحجاً وفتونا !
 حبيب أصلاً كما تعلمينا
 وخللاً كما يسر العيوننا !
 ساعداً قبل خطبتي ومعينا
 حسباً أو فضيلة أو ديننا
 ويسوموني التهود حيناً
 فأتوا بعد ذاك يستبقونا

ما ثناهم عن خطبتي غير فقري ليس عندي ملمال ما ينشدونا
 ذهبوا لاهنة الغني وإن لم يك من بيتهم وإن كان دوننا
 وانثروا بمنعوننا من سواهم فلمن ويحنا إذا يتركونا ؟
 فدعيني يا حسن أبكي مصابي ! بم أبكي وقد أرقت الشئونا ؟
 رب ! كن لي وللتعيسات مثلي ليس بين الأنام من ينصفونا

(لا تتمالك حسن عن البكاء فتنهمر الدموع من عينيها)

علوية : مِمَّ تبكين حَسَنُ ؟
 حسن : من أجل بلوا كِ فؤادي أحسه مطعوننا !
 علوية : تب ذا العيش ! لا هوى لي في العيد ش إذا لم تحطبي عن تعشقينا
 حسن : أقصري حسن ! بل يظل همام بك في غبطة بها تسعدينا
 علوية : نحن نحبي وأنتما ؟
 حسن : فوقنا الله — ه سياسو جراحنا ويلينا
 علوية : فوقنا الله ..
 حسن : فوقنا أيضًا الله — ه سياسو جراحنا ويلينا

المشهد الثاني

(حسن في غرفتها . همام داخل إليها) .

حسن	: حبيبي ؟
همام	: أجل مُنيّتي !
حسن	: أمالك في قبلة ؟
	تعال إلى جانبي أمالك في ضمة !
همام	: (يهوى إليها)
	بلى يا حياة الفوا ، وليك يا مهجتي !
	هيبي لياك هييني أطفئ به غلتي !
	هلمي نطّف بالحيا ة كالنحل بالزهرة !
	فما في النى مثل قبلة الزوج للزوجة !
	نعال بها نعمة وحسبك من نعمة
	ونجني بها لذة ونأهيك من لذة
	وهل كنعيم يجيء من الله بالرحمة ؟ !
حسن	: حبيبي ! أمالك عن هوى الشعر من توبة ؟ !
	أبي أنا وحدي نسي
	أرى نبرات العمو م تعصف بالوحدة
همام	: حبيبة قلبي ! أقلي عليّ من الغيرة
	هلمّ ادخلي للفؤاد وافضّني إلى الحبّة !
	فهل تحدين بها لغيرك من غلّة ؟

- حسن : كذا فلتكن لي في حياتي وفي موتي
فما في حياتي خشيت بل بعدها خشيتي !
حيبي اغتسم ساعة من الصفو والبهجة !
فقد لا تطول حيا تي ، وتقصر بي مدتي !
همام : دعي عنك هذا ، وقو لي سوى هذه الجملة
بربك لا تذكر لي لنا شبح الفرقة !
فلم نسترح بعد من متاعها الجملة
ولم نقض بعض اللبا نة من هذه اللقية
حيبي لا تلجيني واشفق على عبرتي !
حسن : (تبكي) أحس كأن الحما م مني على خطوة !
ويهمس لي خاطري بأنني على رحلة !
همام : دعي عنك هذي الوسا وس ، جسمك في صحة
ووجهك هذا الجميـل بل يباع بالنضرة
وسوف تجوزين عـمـر جـدك والجـدة
حسن : سـلـمـت حـيـبي لي !
همام : ولي أنست يا بُني !
حسن : لقد زال عني الذي شعرت من الخيفة
وذابت همومي منـك في كوثر الجنة
همام : فديتك ! حُسنُ ستبقى بييتي كالشـمعة !
وتأذن لي بالرحيل لأم القـرى مـكة
وتدعو لي الله أن يُقـصـر من غيبي
كما تترجأه أن يحقـق لي طـلـبـي

: أحجاً تريد ؟

حسن

همام

: أحجل
لأسعى هناك لتزويج
محمد جلف الفرائش
أضر به اليأس في
وأخشى عليه المني
وأخبرني أنه
وأن بأم القرى
فقد جاء منها أبو
وفتش في النسوة الـ
فقالوا له : لاتمنا
فشارت به غبطة
ومالت به عزة
وقال إذا لم يكن
فلا ببارك الله في
وزوجه ذو الجلا
فعلش سعيد الفوا
كذا عن أبي أمه
: همام ! يمين الإله
يرافقك الله في
وإنسي لـسرورة
ومن كمحمد في

وشيثاً من القربة
سج خلّي من خلّي
ينوء من العلة
هواه لعلوياً
ة من هذه الصدمة
عت إلى العترة
معالم ذي النسبة
ة إلى هذه البلدة
شرائف عن زوجة
ئك في بيتنا أتيت
وبورك في الغبطة !
وبورك في العزة !
لدي سوى نسبي
خلالي ولا همّي
ل من أمه البرة
د بها هاني العشرة
حكى مجمل القصة
ه وفي الحفظ والعصمة !
خطى هذه السفرة
برعيتك للصحة
ولائك والذمة !

حسن

بِحَبِّكَ عَطَفِي عَلَيْهِ وَحَبِّي لِعَلْوِيَّة
 أَلَمْ يَسْعِياً قَبْلُ فِي دُخُولِكَ فِي عَصْمِي ؟
 أَلَمْ يَزِلْهُ الْجُهْدُ فِي هِنَائِكَ أَوْ غَبْطِي
 وَقَدْ عَدْتُهَا أَمْسٍ وَهِيَ تَقَعَّقُ بِالسَّافِرَةِ
 بِنَفْسٍ تَرِيدُ الْحَيَاةَ عَلَى جَسَدٍ مَيِّتٍ !
 تَنُوحُ عَلَى نَفْسِهَا وَتَزْخَرُ بِالْحَسْرَةِ !!
 وَقَدْ أَنْفَدَتْ دَمْعَهَا فَتَبْكِي بِلا دُمْعَةٍ !
 رَثِيتُهَا يَا هُمَامُ ! وَخَفْتُ عَلَى خَلْتِي
 لِأَنِّي أَرَاهَا تُشِيرُ إِلَى الْمَوْتِ مِنْ خُفْيَةٍ !
 فَمَنْ أَجْلُهَا يَا هُمَامُ شُكُوكِي فِي صَحْبِي
 وَإِحْسَاسُ قَلْبِي بِأَنِّي قَرِيبٌ مِنَ النُّقْلَةِ
 وَلَكِنْ لَعَلَّ الْإِلَهَ يَكْشِفُ مِنْ عَنِّي
 سَامِضِي لَتُبَشِّرَهَا وَتَفْرِيحَهَا بِأَلْتِي
 لَعَلَّ بِهَا أَنْ تَكْفُ مِنْ عَلَنِ اللُّوعَةِ !

المشهد الثالث

(محمد على فراش المرض . ليس عنده سوى أمه
المعجوز تعلله من حين إلى حين وتدخل عليه الخادم بمكروب فيفضه
بيد مرتعشة فإذا هو من حبيبته علوية وإذا فيه) :

يا حبيبي ! مني عليك سلامٌ وسلام الرحمن فوق سلامي
يا حبيبي ! إن المنيّة جامٌ كلنا شاربٌ بذاك الجّام
والسعيد الذي يموت سليمٌ الـ قلب عَفَّ الرءاء من كل ذام
فمتى جاءك النّعيُّ يموتي فترحم على شهيد الغرام !
أنا في النزع يا حبيبي فصيرًا لا تَضَعُضَعُ لحادث الأيام
ووداعًا إلى اللقاء! على الكو ثرا في الخلد! في جوار السلام!
إن تحلُّ بيننا الحياةُ ففي الخلد سدِّ سنحظي بلقيّة وورثام
سيرى الحائلون دون الجبيّة سين جزاء الإله ذي الانتقام
علوية

محمد : (يتقلب على الفراش ذات اليمين وذات اليسار بجهد
ومشقة)

هي في النزع! آه ما أعظم الخطـ ب وأقسى على فؤادي النامي!
هي في النزع! ربُّ هون عليها! حسبها ما رأت من الآلام!
منعوها الحياة ظلمًا فأودوا بمحياة بريئة الأحلام
رب! لاخير في الحياة! فألحقـ نني بها واكفني عناء السقام
هي روح الوجود مني وما يصـ صنع بعد الأرواح بالأجسام ؟

أَكُنَّا نَتْرُكُ الوجودَ ولم نَحْظْ بِوَصْلٍ ، ولم نَفْزِمَ بِمَرَامٍ ؟
أَكُنَّا يُرْفَعُ البَسَاطَ وما دَا رَتَّ عَلَى العَاشِقِينَ كَأْسُ مَدَامٍ ؟

(يَحَاوِلُ أَنْ يَنْحَرِفَ إِلَى جَنْبِهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ مِنَ الضَّعْفِ وَالْإِعْيَاءِ)

رَبِّ مَاذَا أَحْسُ ؟ هَذَا فَتُورٌ عَجَبٌ فِي مَفَاصِلِي وَعِظَامِي !
خَارَ جِسْمِي فَمَا أَطِيقُ حِرَاكًا ! وَتَنَاهَتْ بُسْرُودَةُ الْأَقْدَامِ
مَا لِرَأْسِي أَضْحَى عَلَيَّ ثَقِيلًا وَجَفَوْنِي يُغْرِسْنِي بِالْمَنَامِ !
وَيَدِي لَا تَطِيقُ حَمْلَ سِوَاكِ ! وَلِسَانِي تَعَثَّرَتْ بِالْكَلامِ !
وَفُوَادِي دَقَاتِهِ تَتَوَالَى عَلَّ هَذَا نَذِيرٌ قَرِبَ الْحِمَامِ
(يَتَذَكَّرُ صَدِيقَهُ هَمَامًا)

أَيْنَ وَلَّى هَمَامٌ ؟ يَا لَيْتَهُ عِنْدَ سَدِي أَرَاهُ فِي مُتْنَهَى أَيَّامِي !
نَضَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ مِنْ صَدِيقٍ تَخَلَّصَ لِي عَلَى مَدَى الْأَعْوَامِ
كَمْ هَدَانِي مِنَ الضَّلَالِ ، وَكَمْ عَبَّ سُدَّ سُبُلَ الْحَيَاةِ مِنْ قَدَّامِي
أَمْ صَوَّبَ الْحِجَازَ فِي لَفْحَةِ الصَّيْدِ فَحَرِصًا عَلَى قَضَاءِ مَرَامِي
لَيْسَ يَدْرِي أَنِّي بِمَلَرَجَةِ الْمَوْتِ وَأَنِّي عَلَى شَفِيرِ الرَّجَامِ
وَمَضَى غَيْرَ عَالَمٍ أَنْ حُسْنًا مُنِيتَ بَعْدَهُ بِجُمُئِي لِزَامِ
لَيْتَ شَعْرِي إِنْ جَاءَ نَعْبِي هَمَامًا ثُمَّ مَاذَا تَكُونُ حَالُ هَمَامٍ ؟
أَوْ أَصِيبَتْ - لَا قَدْرَ اللَّهِ - حَسَنٌ فَهِيَ أَذْهَى فَجَائِعِ الْأَيَّامِ !
وَهُوَ فِي غُرْبَةٍ وَلَيْسَ لَدِيهِ مَنْ يَهْدِي فُوَادَهُ الْمَتْرَامِي !
مُنَّ يَا رَبِّ بِالشِّفَاءِ عَلَيْهَا لَا تَذَرُهَا رَمِيَّةً لِلْسَهَامِ

* * *

إِنْ مِنْ خَلْفِهَا قَتْنٌ يَنْصُرُ الْحَقَّ جَهَارًا وَعَنْ هَذَاكَ بِحَامِي

- ١٠٥ -

شع من هديه على القُطر نور
واستعداد الجمود سلطانة الضخ
هي سلوانه الوحيد من الدن
عونه إن جنى الجهاد عليه
(يمسك بيديه على أضلاعه)

يا فؤادي دنا الخلاص ! فصيراً
وستلقى الحبيب في ربوة الخل
وسأغدو إلى الإله فيعفو
وسأشكو إليه من رزأوني
وأراقوا دمي البريء ، وضحوا
تخذوا الدين جنةً يتوقون
فسيدرون أنني علوي
غير أن الحِمَام أهون عندي
وادعائي به على الناس فضلاً
عز دين الإسلام ! قد جعل لنا
لم يدع ميزة لزيد على عم

سوف تسلو هذي الجراح النوامي !
سد يحبك ثغره بابتسام !
عن ذنوبي وسالف الآثام
- في ربيع الحياة - في أحلامي
بحبيبي في مذهب الأوهام !
ن بها في الورى سهام الملام
تنتهي نسبي لخير الأنام
من فخاري بالجد والأعمام
يتقاضاهم رسوم احتراممي !
س سواء في شرعه المتسامي
رو ، ولا حارث على همّام

(يلتفت إلى أمه وهي بجانب فراشه واهية الأركان ترونو إليه
في ذهول وتحدار دموعها ولا تستطيع الكلام من الأسى)
إصيري يا أماه ! فالله أبقي لك مني ومن جميع الأنام !

(يصرب نظره إلى السماء)

- ١٠٦ -

رب رفقا بقلبها المتشظي ! وحنانيك بالدموع الهوامي !
 كن لها إن أنت ضحى بطعامي فتسادي وليس رب الطعام !
 كن لها إن أنت سريري لايقا ظي ؛ فتزدد عنه والقلب دام !

(تنحدر من عينيه دمعتان كبيرتان ويدخل في دور
 الاحتضار الأخير)

(بصوت متقطع)

رب ! من ذا أرى ؟ ملائكة المو ت ؟ ألا مرحبا بوفد السلام !
 رب ! إني آمنت أنك أنت اللّـه رب الجلال والإكرام
 ونبيي محمد سيد السّـا دات طه إمام كل إمام
 كل زادي إليك خالص توحيد لذي فُهّب لي يا رب حسن الختام

* * *

المشهد الرابع

همام في مكة بمنزل استأجره قريب من المسجد الحرام . يأتيه
موزع البريد ويسلم إليه بريقة من عدن . يوقعها همام فيخرج
الموزع .

همام : (بيده البرقية لم يفتحها بعد)

برقية ! ما شأنها قل لي ؟ هل مات لي أحد من الأهل ؟
إنني أحس كأن حادثة جللا ستُفجَعنى على مهل
يا برق ماذا أنت تحمل لي إننى أراك تنوء بالنقل !
قلسي يحدثني ؛ ولم أره يوما يحدثنى على جهل

(يفتح البرقية ويحيل نظره فيها بسرعة)

ماذا ؟ أماتوا ؟ أماتت حُسنٌ ؟ واكبدي
رباه ..! خذ بيدي ! رباه ..! خذ بيدي !
(يسقط من معدنه على الأرض مغشياً عليه . يسمع جاران
له من الحجاج هلبة سقوطه فيفتحان عليه الباب حيث يجذانه

ملقى فاقد الشعور . يحرکه أحدهما ويأتي الآخر بماء ويرشه
على وجهه . يفتح عينيه ثم يتحامل على نفسه حتى يجلس :

يا حسرتي اليوم فارقت الحبيب إلى
غير اللقاء ! وواحزني وواكمدي ؟
أشكو إليك إلهي ما مُنيت به
من الخطوب ولا أشكو إلى أحد !
كأنما أنا لم أخلق لأشهد من
هذي الحياة سوى البأساء والنكد !
اليوم أسكب دمعي غير منقطع
إن غاض دمعي بمُدّه دم الكبد !
يا رب لم يبق لي في العيش من أرب
فلقني راحتي في هذه البلد !

(ينظر مرة ثانية في البرقية)

أماتت إذاً حسن؟ ومات محمد وماتت على أثر السقام فتاته !
ثلاثة أحبابي يوم فقدتهم ! فيا لفؤاد أنجيت طعناته ؟
يلوب من الشكوى ويذمى من الأسى وليس إلى غير الإله شكاته
محمد يا خير الأَحْلاء ! والذي صفتُ مثلما تصفو المدام صفاته
حنانيك لا تبعد ! لمن أنت تاركِي ؟ لقاسي زمانٍ أولعت بي عُذاته ؟
ويا ساعِدَ الإصلاح والباسل الذي به ارتفعت في قطرنا صرخاته

أَمْضِي وَلَمْ نَهَيْتِكَ مِنَ الْجَهْلِ سِرِّهِ وما انْفَضُّ عَنْ صِرْحِ الْجُمُودِ حُمَاتِهِ ؟
 أَمْضِي وَفِي جَنِييبِكَ قَلْبٌ مَعْطُوشٌ من الْحُبِّ لَمْ يُبَلِّغْ بَوْصِلَ لِهَاتِهِ ؟
 أَحْيَيْنَ ظَفَرَنَا بِاتِّسَابِكَ وَاضْحًا تُغِصُّ بِهِ حَلَقَ الْحَسُودِ شَجَاتِهِ ؟
 أَحْيَيْنَ ظَفَرَنَا بِاتِّسَابِكَ وَاضْحًا تَكْفُفُ بِهِ طَرَفَ الْحَسُودِ قَذَاتِهِ ؟
 وَكُنْتَ عَلَى قَابِ مِنَ الْوَصْلِ هَانًا تَطْلُقُ عَنْ غُرِّ الْمَنَى بِسَمَاتِهِ ؟
 وَأَنْتِ فِتَاةُ الْنُبْلِ وَالطُّهْرِ وَالْحَجَى تَغْشَتُكَ مِنْ رَوْحِ الرِّضَى نَفْحَاتِهِ
 لَضَاعَفَ مِنْ حَزْنِي فِرَاقُكَ أَنَّهُ فِرَاقٌ بِهِ لَاقَتْ حَبِييْبِي وَفَاتِهِ
 أَرَاكِ وَفَاءً مَا رَأَى النَّاسُ مِثْلَهُ فِدَايَ لَحِيْبٍ بِالْوَفَاءِ مِمَاتِهِ
 وَلَمْ أُنْسَهُ لَمَّا رَأَيْتُكَ مَرِيضَةً فَجَاشَتْ بِهِ فِي مَشْهَدِي حَسْرَاتِهِ ؟
 (تَنْهَمِرُ دُمُوعَهُ)

يَقُولُ : كَأَنِّي يَا هُمَامُ سَأَنْتَهِي كَأَن جِمَامِي قَدْ أَقِيَمْتُ صَلَاتِهِ !
 فَقُلْتُ لَهُ : دَعِ عَنكَ وَهْمَكَ، إِنَّ ذَا عَحْيَاكَ نَظَرٌ لَمْ تَحُلْ قَسَمَاتِهِ !
 فَاصْبِرْ لِقَوْلِي وَاطْمَئِنِّ فُؤَادَهُ وَقَرَّتْ - عَلَى سُخْرِ الرَّدَى - رَجَفَاتِهِ
 وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّنِي أَنَا وَاهِمٌ وَأَنْ حَبِييْبِي صَادِقُ كَلِمَاتِهِ !

(يَرِيدُ أَحَدَ الْجَارِينَ أَنْ يَقِيمَ هَمَامًا مِنَ الْأَرْضِ فَيَجْذِبُهُ)
 (صَاحِبُهُ)

دَعَه يُرْسَل دَمْعَه من بكى الشجو استراح
وَإِذَا مَا كَبَّتْ أَلْـ حُزْنٌ فِي جَنِيهِ طَاحُ
وَيَحْه مِنْ مُوجَع دَمِيَّتْ مِنْهُ الْجِرَاحُ !
صَاحِبَه : مَا عَلَيْهِ الْآنَ بَأْسُ
هَمَام : حَبِييْ ! مَا لِي فِي رِثَائِكَ مَقُولُ
رِثَاؤُكَ فِي قَلْبِي يَهْدُ أَضْأَلْعِي
وَلَا يَسْتَطِيعُ الشَّعْرُ وَصْفًا لِهَوْلِهِ
عَلَى أَنَّهُ الشَّعْرُ الَّذِي الشَّعْرُ دُونَهُ
وَإِنْ قَرِيبًا أَنْتَ مَصْدَرُ وَحْيِهِ
يَمِيلُ بَعْطُفُ الْكُونِ قَدْسِي لِحْنِهِ
تَقْطَعُ أَعْنَاقَ الْبَلَاغَةِ دُونَهُ
تُغْصُ بِهِ حَسَادُهُ وَهُوَ سَائِغُ
وَلَكِنَّ الْخُطْبَ الَّذِي الْخُطْبَ دُونَهُ
وَلَوْ غَيْرُهُ أَضْحَى بِهِ بَعْضُ ثَقْلِهِ
فَهَا هُوَ ذَا قَلْبِي كَسِيرًا مَحْطَمًا
لَمَنْ أَطْلَبَ الْعُلَيَاءَ بَعْدَكَ ؟ إِنَّمَا
وَأَيْنَ سَبِيلُ الْمَجْدِ بَعْدَكَ ؟ إِنَّمَا
فَأَنْتَ الَّذِي عَلِمْتَ نَفْسِي رَكُوبَهُ
وَلَقَتْنَهَا حُبُّ الْمَدَى وَجَهَادِهِ
أَتَمَضِي وَمَا جَفْتُ رِيَّاحِينَ عُرْسَنَا
أَتَمَضِي وَلِمَا يَشْفُو قَلْبِي أَوَامِهِ
سَلَامٌ عَلَى قَبْرِ الْحَبِيبِ وَرَحْمَةٌ
وَعِثَ رَضَى مَا تَنْتَهِي قَطْرَاتِهِ
مِنْ بَكَى الشَّجْوِ اسْتَرَا حَ
حُزْنٌ فِي جَنِيهِ طَاحُ
دَمِيَّتْ مِنْهُ الْجِرَاحُ !
س وَقَدْ صَاحَ وَنَاحَ
كَأَن فَمِي شُكَّتْ بِرَمَحِ لَهَاتِهِ !
وَتَلْفَعُ فِي أَحْنَائِهَا ضَرْبَاتِهِ
وَتَقْصُرُ عَنْ تَصْوِيرِهِ خُطُواتِهِ
سَرَتْ فِي الْوَرَى مَسْرَى الضَّحَى يَبْنَاتِهِ
لَتَسْجُدُ غُرَّاهُ لَهُ وَمَنَاتِهِ !
وَتَعْلَبُ فِي سَمْعِ الدُّنَى نَغْمَاتِهِ
وَتُزْهِى بِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ رَوَاتِهِ
وَأَقْتُلُ مَاءَ لِلْحَسُودِ فِرَاتِهِ
تَلْقَاهُ قَلْبٌ لَا تَلِينَ صَفَاتِهِ
لَقَامَتْ عَلَيْهِ فِي الْمَسَاءِ نَعَاتِهِ
تَفِيضُ دَمًّا نَجَّاجَةً جَنَابَاتِهِ
حَدَّثَنِي إِلَيْهَا مِنْ سَنَّاكَ حُدَاتِهِ !
بَنُورِ عِيَاكَ انْجَلَّتْ ظِلْمَاتِهِ
وَلَوْلَاكَ مَا ذَلَّتْ لَهَا صَهْوَاتِهِ !
وَلَوْلَاكَ مَا اجْتَبِزَتْ لَهَا عَقِبَاتِهِ
وَمَا بَرَحَتْ بِسَامَةِ زَهْرَاتِهِ ؟
وَمَا شَقَّقَتْ أَكْمامَهَا صَبُواتِهِ ؟
وَعِثَ رَضَى مَا تَنْتَهِي قَطْرَاتِهِ

لئن كان أنسي في الحياة لقاؤه فانسي وهمي بعده ذكرياته !
 كأنني بالثغر الجميل على فمي ترف به في نشوة قبلا له !
 كأنني بالفرع الجميل بمنكبي تداعبني في عرفها خصاله !
 كأنني يميناه تحول بفرقي فتلمها في نشوة شعراته !
 لئن حالت الأيام بيني وبينه وقدر للشمل الجميع شتاته
 ففي جنة المأوى غدا سوف نلتقي بفضل كريم لا تحدهباته
 وإن عزاء القلب لإيمانه به وقد فارقه في الحياة حياته
 (ينهض فجأة)

خلوني خلوني إلى المسجد خلوني إلى الحجر الأسود !
 خلوني إلى زمزم عليها تُرد من جوفي الموقد !
 خلوني لأستار بيت الإله أشد بها في ابتهاج يدي
 دعوني أذهب إلى خالقي دعوني أذهب إلى سيدي !
 دعوني أحط على بابي يُقال الدموع وأستفيد
 فإن أحي على لطفه وإن يأتني الموت أستشهد

(يخرج إلى المسجد الحرام يرافقه جاراؤه . يقصد زمزم
 فيكرع من مائها يتوضأ ويذهب إلى المطاف يطوف .. ثم يقف
 تجاه الملتزم ويتعلق بسر البيت :

الحمد لله اطمأن قلبي ! هأنذا بين يميني ربي ؟
 إن عظم مصيبي وخطي فالله يرعاني وهو حسبي !

- ١١٢ -

يا رب أنت الواحد القهار وأنست ذو الرحمة والجبار
تفجّرت من نورك الأنوار وقصّرت عن كنهك الأفكار

* * *

يا رب لا نقض لما أبرمتنا ! فرضّني ربّ بما حكمتنا
لعلني أجهل ما علّمتنا من صالح لي في الذي أقمّتنا

* * *

يا رب ألهمني العزاء الشافي ! واضمّد جروحي منك بالألطف
وآتني عزائم الأسلاف فأنّت لي الكافي ونعم الكافي

* * *

وأولّني مُنْاي في الدارين (حُسناً) اجمع بينها وبينني
في دار خلد بين جتّين أقرّر بذلك عينها وعيني

* *

يا رب وارفع (أمة الإسلام) واقذّف بها إلى المقام السامي
حتى تُرى خفاقة الأعلام على جميع الكون بالسلام

* * *

- ١١٣ -

ووَحَّدَ (العُرْبَ) ، فَإِنَّ الْوَحْدَةَ تَحْيِي لَهَا مَاضِيَهَا وَعَهْدَهُ
تَعِيدُ بَعْدَ الْإِنْدِرَاسِ بِحَدِّهِ وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ يَوْمًا وَعَدَهُ

* * *

وَانْظُرْ إِلَى (الْأَحْقَافِ) بِالرَّعَايَةِ وَأُولَئِهَا بِفَضْلِكَ الْعَنَايَةَ
بِالْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْهُدَايَةَ فَجَلَّ عَنْهَا الْجَهْلُ وَالْعَمَايَةَ

* * *

وَصَلِّ يَا رَبِّ عَلَى الْمُخْتَارِ خَيْرَ الْأَنَامِ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ
وَأَلِّهِ وَصَحْبَهُ الْأَطْهَارِ مَا طَلَعَتْ كَوَاكِبُ الْأَسْحَارِ

* * *

هَذَا وَقُوفِي خَاشِعًا بَيْنَ يَدَيْكَ ! وَتَائِبًا مِنْ كُلِّ آثَامِي إِلَيْكَ
مَتَّكِلًا فِي كُلِّ أَحْوَالِي عَلَيْكَ لَيْتَ رَبِّ الْجَلَالِ لَيْتَكَ !

* * *

(سِتَارُ الْخَتَامِ)

للمؤلف

- ١ - هُمام أو في بلاد الأحقاف
- ٢ - أخناتون ونفرتيتي
- ٣ - سلامة القس
- ٤ - والإسلاماه
- ٥ - قصر الهودج
- ٦ - الفرعون الموعود
- ٧ - شيلوك الجديد
- ٨ - عودة الفردوس
- ٩ - روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
- ١٠ - سر الحاكم بأمر الله
- ١١ - ليلة النهر
- ١٢ - السلسلة والغفران
- ١٣ - الثائر الأحمر
- ١٤ - الدكتور حازم
- ١٥ - أبو دلالة (مضحك الخليفة)
- ١٦ - مسمار جحا
- ١٧ - مسرح السياسية
- ١٨ - مأساة وأديب
- ١٩ - سر شهر زاد

- ١١٥ -

- ٢٠ - سيرة شجاع
- ٢١ - شعب الله المختار
- ٢٢ - إمبراطورية في المزد
- ٢٣ - الدنيا فوضى
- ٢٤ - أوزوريس
- ٢٥ - فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية (محاضرات)
- ٢٦ - دار ابن لقمان
- ٢٧ - قطط وفيران
- ٢٨ - إله إسرائيل
- ٢٩ - هاروت وماروت
- ٣٠ - الزعيم الأوحى
- ٣١ - جلفدان هائم
- ٣٢ - قاب قوسين
- ٣٣ - الفلاح الفصيح
- ٣٤ - ملحمة عمر (١٨ جزء)
- ٣٥ - جبل الغسيل
- ٣٦ - هكذا لقي الله عمر

رقم الإيداع : ١٠٢٢١ / ١٩٩٧

الترقيم الدولي : 4 - 1112 - 11 - 977

مكتبة مصر
٣ شارع كائن صدقي - الجيزة



الضمن ٣٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
معيد جودة السحار وشركاه